الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
قسم اللغة العربية وآدابها

مـذكــرة مـاستـــــر

شعر الزهد عند أبي العتاهية

" مقاربة فنية تاريخية "

الشعبة : دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

من إعداد الطالبة:

- عاشوراء بن الأبيض.

إشراف الأستاذة الدكتورة:

* فاطمة مختاري.

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بولرباح عثماني	أستاذ التعليم العالي	رئيساً
فاطمة مختاري	أستاذة التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً
بلغربي عبد القادر	أستاذ محاضر – أ–	مناقشًا

السنة الجامعـــية:

1446/1445هـ الموافق لـ: 2024/2023 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

سبحانك ربنا لك الحمد والشكر كثيراً طبيا حتى يبلغ الحمد مبتغاه، فالشكر لك ربي منير دربي وباعث الأمل في حياتي.

كل الشكر والتقدير لمن غمرتني بالفضل وزودتني بالمعارف واحتضنتني بالنصح وأكرمتني بالود وتفضلت بقبول الإشراف على مذكرتي أستاذتي ومنيرة دربي الدكتورة "فاطمة مختاري"

كما أشكر كل أساتذة اللغة العربية وآدابها على ما قدموه لي من مجهودات في خدمة العلم وما وقعوه في نفسي من جمال يبعث الأمل ويشع الحياة بالنور والتفاؤل كما أشكر كل من علمني حرفا فصرت بفضله مبدعة وكل من مدّ لي يد العون وخاصة الدكتور "عثماني بولرباح"

الإهداء

إلى من علمنا القراءة الأولى إلى الحبيب

المصطفى محمد الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة

وأزكى التسليم.

فلو سئل القلب عن الأحبة بعد الله ورسوله

عليه الصلاة والسلام فإنه لا يعرف إلا هؤلاء.

إلى الحبيبين الحاضرين بالرّوح والغائبين بالجسد

إلى من علماني أبجديات الحياة

ورسما فيّ الطيبة والحب والأخلاق والمُثُل العليا.

إلى سندي وعزوتي في الدنيا إخوتي الأفاضل

وأخواتي الكريمات إلى كل الأقارب والأصدقاء

والأعزاء إلى كل من عرفتهم فسعدت بلقائهم

إلى هؤلاء جميعاً كل الفخر والإمتنان والإحترام والتقدير.

عاشوراء

مقدمة

الحمد لله رب العزة مانح التوفيق والسداد، والصلاة والسلام على مُحَمَّد رسول الله خير العباد، وبعد:

إن المتأمل والقارئ للأدب العباسي، يلحظ العلاقة الوثيقة بين هذا العصر وشعر الزهد حيث نرى أن هذا الأخير- كنزعة – ظهر بقوّة في العصر العباسي لعوامل عدّة جعلت منه منهجا اتبعه العديد من الناس، الّذين عافوا تلك الحياة المترفة التي سادها اللهو والمجون إلى حدّ بعيد، وقد اتخذ الشعراء هذا الغرض فنا للتعبير عن مواقفهم إزاء ما صاحب الحياة من انحلال وتهتك وذيوع لألوان اللهو والمجون.

والزهد الذي ذاع صيته واتسّعت دائرته في العصر العباسي، أخذ مناهله الأولى من الحياة الروحية الإسلامية التي قوامها الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، إلى أن غدا يأخذ من ثقافات الأمم الأخرى التي كان لها كبير الأثر على الحياة في جانبيها؛ المادي الذي أوغل فيه الناس وأخذوا منه كل كبير، والروحي الذي يدعو إلى الرّجعة والكفاية بحياة السمو الروحي.

ويعد العصر العباسي من أهم الحضارات مفخرة للعرب علما وفكرا وأدبا، وبلغ هذا العصر قمة الرقي والتطور الحضاري بفعل الامتزاج الثقافي بالشعوب الأخرى، حيث عرف نشاطا واسعا لم تعهده العصور السابقة له، ونتيجة هذا الازدهار الفكري الذي كان محطة أنظار الباحثين المهتمين بدراسة جوانب هذا العصر خاصة من الناحية الأدبية بصفة عامة والشعر بصفة خاصة، ومن بين الشعراء الذين لفتوا الانتباه و نالوا حظا من الدراسة هو الشاعر أبو العتاهية الذي اختلف الناس في حقيقة زهده وتفرقوا فيه بين مُثْنٍ مُسَلِّمٍ بصحة زهده من جانب، وناقم واقعٍ من الشك من توجهه في النصف الثاني من حياته.

هذا السبب وغيره دفعنا لتقصي الحقيقة في معرفة زهده الذي تضاربت فيه آراء كثيرة، وهذا ما حملنا للبحث والتقصي وإماطة اللثام عن تلك الحقيقة، ومعرفة العوامل التي دفعت الناس للشك في زهده.

ومن بين الأسباب الأخرى أيضا:

- رغبتنا واهتمامنا في التعرف على حقيقة الزهد ونشأته.
- أهمية موضوع البحث حيث أنه يشكل منعرجا مهما في الشعر العربي.
- إعجابي بشخصية أبو العتاهية وشعره الزهدي، وبالأدب العباسي عامة وخاصة أن هذا العصر كان أرقى وأزهى العصور في شتى المجالات والعلوم وخاصة في عصوره الزاهية الأولى.

- **وللوقوف على ذلك كله انطلقت من الاشكالية الآتية:** ما حقيقة الزهد عند الشاعر أبي العتاهية؟ وما هي الأسباب التي دفعته لهدا التوجه؟.
- **وقد انجرت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:**
- متى ظهر شعر الزهد ؟
- ولماذا شاع في العصر العباسي بالتحديد؟
- ما هي الخصائص الموضوعية والفنيةلل شعرالزهد عند أبي العتاهية؟

وقد اعتمدنا في إستقرائنا لهذا الموضوع أن أقسم هذا البحث إلى مقدمة شرحت فيها مسار الدراسة، وفصلين؛ تحدثت في الفصل الأول عن ماهية الزهد، بحيث جاء كتمهيد بغية التعرف على شعر الزهد وكل ما يتعلق بماهيته وظروف نشأته وتطوره ودواعي ظهوره، أما في الفصل الثاني فقد تناولت فيه حياة أبي العتاهية وأصله ونشأته ومختلف توجهاته الحياتية ومذهبه، وأسباب زهده وأخذت نماذج من شعره الزهدي وخصائصه الفنية والموضوعية وختمت بحثي بخاتمة استخلصت فيها زبدة ما جاء في الموضوع.

واعتمدنا المنهج التاريخي المرفق بشيء من التحليل الذي اقتضاه المقام اضافة إلى المنهج الفني للتعرف على الجوانب الفنية والبلاغية التي ميزت شعر الزهد عند شاعرنا موضوع الدراسة.

ومن بين أهم الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع:

- أبو العتاهية وخصائص شعره دراسة تحليلية فنية، رسالة ماجستر للطالبة الأندونيسية حميساتي، 2014، جامعة أندونيسيا. التي تناولت موضوعات والأغراض الشعرية عند أبي العتاهية بصفة عامة.
- الحجاج في زهديات أبي العتاهية ، رسالة ماجستير ، 2015 لسهيلة بن عبد الحفيظ، جامعة قالمة، تناولت الجانب الحجاجي في زهديات الشاعر.

وبعض المقالات الأخرى التي تناولت الموضوع من زاوية معينة ، مثلما نجد في مقال عبيد منقور ميلود المعنون ب: النزعة الأخلاقية في شعر الزهد عند أبي العتاهية، المنشور في مجلة حوليات التراث عام 2004 بجامعة مستغانم.

ـ ومقال لمحمد رضا غفاري المعنون بـ: زهديات أبي العتاهية وشرف الدين الأنصاري ، دراسة مقارنة المنشور في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية بجامعة طهران 2018، وهي كما يتضح من العنوان دراسة مقارنة بين شاعرين زاهدين ، وهي تختلف عن دراستنا التي خصصناها لتتبع نشأة شعر الزهد وبيان حقيقته عند الشاعر أبي العتاهية ودراسة للخصائص الفنية والموضوعية التي ميزت شعره.

وفي هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية.
- مُحَمَّد عبد المنعم الخفاجي، الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي.
- سراج الدين مُحَمَّد ، الزهد في الشعر العربي.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب في العصر العباسي.

ليبقى من ذلك كلّه أن ما من دراسة إلاّ ويتخللها من الصعوبات الكثير، وعلّ الإفتقار إلى المراجع التي تتناول الشاعر أبي العتاهية كصرح شعري من أولى الصعوبات التي وقفت حائلاً أمام استفاء دراستنا للجوانب الفنية لزهدياته، إضافة إلى صعوبة التوفيق بين العمل التعليمي والتفرغ لموضوع المذكرة التي تحتاج إلى الوقت والجهد، وخاصة أنها تتناول موضوعاً قديما يحتاج إلى الإطلاع والفهم أكثر.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أقف وقفة احترام لأستاذتي المشرفة" مختاري فاطمة " وأقدم لها الشكر الجزيل على النصائح والإرشادات التي قدمتها لي، كما أشكرها على صبرها علي طيلة فترة إنجاز هذا البحث وإخراجه في أحسن صورة، كما لا أنسى أن أقدم بالشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة على تكبدّهم عناء قراءة وتصويب العمل.

وأخيرا آمل أن أكون قد وفقت في هذا العمل، فإن أخطأت في الرأي أو الزلل في اللسان، فمن النفس، وإن أصبت شاكرة الصواب فمن فضل الله ومن الله نستمد العون والسداد، إنه سميع مجيب والحمد لله ربّ العالمين.

الفصل الأول: مـاهــيـة شعـر الــزهــد

أولاً: الـدلالة اللغوية والاصطلاحية للزهـد

1. لـــــغـــــة

2. إصطـــــلاحـا

3. مفهوم شعر الزهد

ثانيـاً: نشـأة شعـــر الزهــد وخصـائصـه

1. إرهـــاصـــاتــه

2. أسبـاب ودواعـــي ظــهـــوره

ثــالــثًا: صـــــفـــات الـزهـــاد

1. الـــــــــورع

2. التوكـل علـى الله

3. الـعزلـة والإنـفـراد

لقد فرضت الحياة العباسيّة نفسها على الأدباء العباسيين من جميع نواحيها، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو من الناحية العقلية، التي أنتجت بفعل التمازج الشعوبي بين العرب والأعاجم.

وقد أوجدت هذه الظروف اتجاهات فكرية نجدها جديدة في الفكر العربي، انعكست على أدبهم، فظهرت أغراض كانت بمثابة نقلة نوعية للأدب على غرار ما عرفه العصر الجاهلي، أو الإسلامي، أو الأموي، وأهم الأغراض التي عنينا بها في بحثنا هذا هو غرض الزهد الذي سنتناوله بالدراسة والتحليل.

أولاً: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للزهد:

1.**مفهوم الزهد لغة:** الزهد في اللغة: تنطق بخفض عينها ورفعها ونصبها فيقال: زَهِدَ، وزَهُدَ، وَ زَهَدَ...، وبالرجوع إلى المعاجم العربية للبحث وتحديد المعاني المختلفة التي تواردت لكلمةُ زهدُنجد أن هذه الفظة وردت في لسان العرب لابن منظور وتعني: َ زهَدَ والُزهَادُ في الدنيا و لا يقال الزُهْدُ إلا في الدين خاصة. والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، الزُهَادَةُ في الأشياء ضد الرغبة.

زَهِدَ: مْزْهِدٌ فيها زَهِدًا، فهو زَاهِدٌ من قوم زُهَادٌ، و التَّزْهِيدُ في الشيء وعن الشيء ضد الترغيب فيه ويَتَزَهَدُ: يَتَعَبَدُ، وقوله(وَ كَانُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ)[1]

قال " **الأعشى** " بمدح قوم بحسن مجاورتهم مجاورة دهم:

قُلْنَا يَطْلُبُوا سِتْرَهَا لِلْغَنِي وَلَنْ يَسْلَمُوهَا لإِزْهَادِهَا[2]

أما في كتاب جمهرة اللغة **لابن دريد** فَالزُهْدُ: خلاف الرغبة، زَهَدْتُ في الشيء وأَزْهَدُ فيه زُهْدًا و زَهَادَةً.

والزَّاهِدُ في الدنيا: التَّارك لها وما فيها، والجمع زُهَادُ والإِزْهَادُ: الفقر.

الزَّهِيدُ القليل من كل شيء، يقال: مال زَهِيدٌ، وفي كلامه عليه السلام: " زَادِ زَهِيدٌ وسَفَرِي بَعِيدٌ".

---

[1]- ابن منظور: "**لسان العرب**"، دار صادر بيروت (لبنان) 2004،د.ط1المجلد 7، ص: 68.

[2]– ميمون بن قيس: "**ديوان الأعشى الكبير**"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1993، ص: 49.

في معجم العين: فنجد كلمة الزُهْدِ في الدين خاصة، و الزِهَادَةُ في الأشياء كلها، و رجل زُهْدٌ، وامرأة زَهِيدَةٌ وهما القليل طعمهما، وأزْهَدَ الرجل إزْهَادًا فهو مُزْهِدٌ لا يرغب في ماله لقلته"[1].

وقد جاء معنى الزهد في القرآن الكريم بمعنى الإعراض عن الشيء في قوله تعالى:

" وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ"[2].

2. **الزهد اصطلاحا:** الزهد هو حنين الروح إلى مصدرها الأول لمعرفة الخالق عن طريق الزّهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها، وتفضل نعيم الآخرة عليها[3].

سئل عنه الإمام مالك- ﷺ- فقال: هو التقوى كما أشار إليها الإمام علي بقوله : هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والإعداد ليوم الرحيل، ومن ذلك ما قاله الزهري لما سئل: ما الزهد؟ فقال: من يغلب الحرام صبره، لم يمنع الحلال شكره، أي الصبر عن الحرام والشكر عن الحلال[4]، وهو التقوى التي أمر بها الله في كتابه العزيز" ...وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخَذُوهُ، وَمَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا..."[5]، أي الأخذ بالطيبات والانتهاء عن الخبائث.

ويذهب آخر إلى أن " المشروع منه ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة أما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع، بل ترك الفضول التي تُشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع"[6] فمن ذلك ما نهى عنه الشرع من تتبع الدنيا وتقفي طلبها إلاَّ مَا تُقام به الحياة الروحية، قال الله تعالى: " وَلاَ تَغُرَّنَكُمْ الحَيَاةُ الدُّنيا وَلاَ يَغُرَّنَكُمْ بالله الغَرُور..."[7]

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهدي،" **كتاب العين (معجم لغوي تراثي)**"، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم الغنبكي، مكتبة لبنان ناشرون، لجنة ترتيب المعجم ، بغداد 2003،د.ط، ص: 340.

[2]- سورة يوسف، الآية 20.

[3]- ينظر سراج الدين مُحَمَّد ، "**الزهد في الشعر العربي**"، دار راتب الجامعية ، بيروت، د.ت، د.ط ، ص23.

[4]- ينظر أحمد بن مُحَمَّد بن زياد الأعرابي، " **الزهد وصفة الزاهدين**"، مكتبة الصحابة للطباعة، مصر، ط1، 1988، ص:19.

[5]سورة الحشر، الآية: 07.

[6]- أحمد عبد الحليم عبد السلام بن تيمية، "**فقه التصوف**"، دار الفكر الغربي، لبنان، ط1، د.ت، ص: 25.

[7]- سورة لقمان، الآية: 32.

في حين يذهب أبو حامد الغزالي في كتابه- إحياء علوم الدين- إلى أنّ: "الزهد انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه – فحاله عنده- يستدعي مرغوبا عنه مرغوبا فيه، فهو خير من المرغوب عنه، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عمّا ليس مطلوبا في نفسه فلا يقال عنه – زَاهِدٌ – فإذا ترك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمّى زاهدًا، وإنما يسمى زاهدا من ترك الدراهم... لأن الأوّل لا يكون في مظنه الرغبة، وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خير من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة، فكل من بَاعَ الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، ومن باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهدٌ ولكن في الآخرة، غير أن الجاري بتخصيص اسم – الزاهد – بمن يزهُد في الدنيا"[1].

وهذا قليل من كثير ممّا قيل في الزهد، ولعلّ أغلب المفاهيم الاصطلاحية للزهد اتفقت على أنّه الإعراض عن الفانية (الدنيا) والرغبة في الباقية (الآخرة)، ليعُم الزهد في حب المال والجلد وغليظ المأكل والمشرب والملبس، وسائر فضول الشهوات مما لا خير فيها في إقامة النفس وتسخيرها في التوجه إلى الله وتقواه، قال تعالى: " واتَّقُوا يَوْما تُرْجَعُون فيه إلى الله..."[2].

أما **ابن الأنباري** يعرف الزّهد أنّه: " الانصراف عن الشيء احتقارا له وتصغيرا لشأنه للاستغناء عنه بخير منه"[3].

وقد لا يقنع الزاهد من الصلاح بخلاص روحه فحسب ، فيحاول أن يدل الناس على طريقة علهم يهتدون وتكون دعوته الزهدية مواعظ، أو قصائد وقد حفلت آداب الأمم ومنها الأدب العربي بفن الزهد[4]. ويعتبر الزهد السلم الطبيعي إلى التصوف والإشراق، بل إنه أول درجات التصوف[5].

---

[1]- أبو حامد الغزالي، "**إحياء علوم الدين**"، مطبعة مصطفى البابي لحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، ج4، مصر، 1939، ص: 211.

[2]- سورة اليقرة، الآية: 281.

[3]- الإمام أبي بكر عبد هلال بن مُحَمَّد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، "**الزهد**" ، دار بن الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، 1999 ،1ط، ص: 05.

[4]-ينظر مُحَمَّد الفارسي، " **الأدب والنصوص** "، منشورات مكتبة الوحدة العربية، دار البيضاء، د.ط ، ج4 ،ص: 120.

[5]- ينظر مُحَمَّد الشعكة، " **الأدب الأندلسي وفنونه** "، دار العلم للماليين بيروت، ط4 ،1989 ،ص: 65.

3. مفهوم شعر الزهد:

ليس هناك مجال للشك من ارتباط حركة الزهد والتصوف بالفكر الديني الإسلامي والأوضاع الاجتماعية والسياسية الإسلامية في أنه لا صلة لنشأة تلك الحركة بأي مؤثر خارج البيئة الإسلامية، نقول هذا لأن بعضا من المستشرقين نسبوا نشوء هذه الحركة الإسلامية إلى عناصر أجنبية؛ يرتد بعضها إلى الرهبنة المسيحية ويرتد بعضها الآخر إلى البوذية الهندية، بينما يرتد بعضها الثالث إلى الفلسفة الأفلاطونية، قد يكون لهذه العناصر الأجنبية أو لبعضها تأثير في نمو الحركة وتشعباتها خصوصا في جوانب المبالغة والغلو التي ظهرت في فترات متأخرة من مسيرتها، أما مرحلة النشأة فهي مرحلة إسلامية خالصة[1].

ثـانيًـا: نشأة شعر الزهـــــد:

يذهب بعض النقاد إلى أن شعر الزهد كغرض فني قائم بذاته لم يظهر إلا في العصر العباسي، فقد ذكر عبد المنعم خفاجي " أن الزهد فن جديد نشأ في العصر العباسي كغرض قائم بذاته مستقل عن الأغراض الشعرية الأخرى نتيجة لتفشي مسحة الترف والمجون " مما دفع بالشعراء إلى الاهتمام به حتى باتت تفرد له قصائد كاملة تستهدف موضوعه"[2].

والزهد مرحلة سابقة مهدت لظهور التصوف غير أنه لا يعد مقاما في الطريق أو حالا من أحوال الصوفي، واذا رجعنا إلى تاريخ الزهد في الإسلام نجد أنه انتشر في القرنيين الأول والثاني هجري، خاصة بعد مقتل الخليفة **"عثمان بن عفان"** ﷺ، ولعل الحروب الأهلية الطويلة الدامية والتطرف العنيف في الأحزاب السياسية وازدياد التراخي والاستهانة بالمسائل الخلقية وما عناه المسلمون من استبداد الحكام، عوامل حركت في نفوس الناس الزهد في الدنيا وقد حولت أنظارهم حول الآخرة ووضعت آمالهم فيها[3].

---

[1]- ينظر مصطفى السيوفي،" **تاريخ الأدب في العصر العباسي** "، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش، م، م، القاهرة، مصر، ط 1، 2008، ص: 05.

[2]- عبد المنعم خفاجي، " **الآداب العربية في العصر العباسي الأول** "، دار الجيل، بيروت، ط5، 1992، ص: 202.

[3]- عبد الحميد هيمة، " **الخطاب الصوفي وآليات التأويل** "، دار الأمير خالد، د ط، د ت، ص: 91.

ولقد تركت هذه الأحداث وغيرها خاصة مقتل "الحسين" وانتقال الخلافة إلى بني أمية أثار حادة في المجتمع العربي خاصة بالكوفة، كان من أبرزها ظهور فريق من الناس اعتزل القتال واعتزل الجهر بالعقيدة فانزوى في بيته وأظهر الزهد وكانت تعتمل في نفسه ثورة داخلية، والمرارة والحزن العميق لعجزه أن يصنع شيئا لإظهار حق أو دفع باطل، فظهر بذلك الزهد...الذي أدى بذلك إلى التصوف.

وقد عاش الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم عيشة الزاهدين القانعين فالإمام "**علي بن أبي طالب**" كرّم الله وجهه يحكى عنه أنه لبث شهرا كاملا طعامه في كل يوم ثلاث تمرات، ولم يكن في بيته سوى سيفه ودرعه وقطيفه إن افترشها مع زوجته فاطمة بنت النبي– ﷺ لا تغطيهما، و إن تغطيا بها لم يجد فرشا و كان يطحن على الرحى– ملء يده من الشعير ثم يتقاسمه مع فاطمة و يمضي اليوم بهما على ذلك[1].

كان العرب في جاهليتهم يعيشون حياة وثنية مادية يطلقون فيها العنان لشهواتهم و غرائزهم و متعهم الحسية، و ظل حالهم كذلك حتى ظهر الإسلام بينهم مبشرا بقيم إنسانية جديدة من توحيد وعبادة و رجوع إلى الله و مجاهدة النفس عن عرض الدنيا و زخرفها، ونزوع إلى الفضائل التي ترتفع بكرامة الإنسان[2].

وكان من شأن هذه القيم الإسلامية و أمثالها من الإخلاص لله و الانقياد إليه والتوجه إلى العمل الصالح، أن أخذ كثير من المسلمين في صدر الإسلام أنفسهم بالزهد في الدنيا، عاملين بحديث الرسول الذي يقول: "ازهد في الدنيا يحبَّك اللهَ، وازهد في فيما في أيدي الناس يحبك الناس"[3].

وهكذا نرى في صدر الإسلام كثيرا من الصحابة ينصرفون عن متاع الحياة الدنيا ويحيون للنسك و الزهد و الابتهال إلى الله و التوكل عليه، و التطلع إلى ما وعد به عباده الصالحين، فنزعة الزهد لدى المسلمين هي في أصلها قيمة من قيم الإسلام الخالصة.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 91.

[2]– عبد العزيز عتيق، " **الأدب العربي في الأندلس** "، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د ط، ص: 216.

[3]– عبد العزيز عتيق، " **الأدب العربي في الأندلس** "، المرجع السابق، ص: 216.

1. إرهـــاصـــاتـــه:

أ- في الشعر الجاهلي:

لما كانت النزعة الزهدية مزية وسمة تمثلها النفس الإنسانية تنزع فيها إلى الانطواء والانكفاء متأملة مصيرها المحتوم – على حد قول الدكتور عبد الستار ضيف- نجد الشاعر الجاهلي قد تلمس تلك النزعة بوصفها نزعة انسانية عامة، فعبّر عنها في قصائده وأشعاره، غير أنه لم يفرد لها قصائد قائمة بذاتها كغرض شعري، وهي ما يمكن الاصطلاح عليه بشعر التدين مثل فصائد " **أمية بن الصلت**" و" **عدي بن زيد العبادي**" و " **زهير بن أبي سلمى**" وغيرهم من شعراء الجاهلية الذين طرقوا أبواب الحكمة والوعظ والتزهد، بالتالي شعر الزهد الذي جاء تالٍ من هذا الأخير يعبر عن طور جديد من شعر التدين...[1] على أنه لا يمكن الادعاء أن تعبيراتهم موافقة والمفهوم الإسلامي لمزية الزهد، فأمر الجاهلي شابه الشكوك إزاء ما حوله من حقائق الحياة والمصير إلا ما كان من الأحناف.

ففي معرض استقرائنا لبعض القصائد الجاهلية، بالأخص في الأغراض الأكثر تلبسا بالزهديات كنزعة، مثل الرثاء والوعظ والحكمة لا نكاد نلتمس فيها إلا بعض الشذرات المعبرة عن عمق تفكير النفس والغوص في بواطنها واستجلاء حقائق الحياة وأسرار المصير الذي يميز كل نفس، لتبقى تلك المعاني معان معبرة عن الفطرة والنزعة التي تمثلها النفس الإنسانية.

إن المستقرى لتلك القصائد يجد أن الشاعر الجاهلي قد طرق مواضيع الزهد في أغراضه الشعرية، فتمثلها بابيات مقتضبة معبرة عن فكرة الموت والمصير والفناء، إذ أنها فكرة قديمة متجذرة في الفكر العربي منذ الجاهلية، وعلّ أبرز ما قيل منها ما أنشده "**عبيدة بن الأبرص**" في حضرة " الملك المنذر" لما همّ بقتله:

أُوصِـي بَنِـيَّ وَأَعْـمَـامَـهُـــمْ بِـأَنَ المَنَـايَـا لَـهُـمْ رَاصِـدَةٌ

لَـهَـا مُـدَّةٌ فَنُفُوسُ العِبَادِ إِلَيْـهَا وإِنْ جَـهِـــدُوا قَـاصِـــدَةٌ

[1]- ينظر ليلى قجوج، " **النزعة الزهدية في الشعر المغازي**"، حتى نهاية ق3 هـ، رسالة ماجستير، إشراف معمر جحيح، جامعة باتنة، 2005-2006، ص: 18.

وَاللهِ إِنْ عِشْتَ مَ سَـرَّنـــــي وَإِنْ مِـتُّ مَا كَانَتِ العَائِـدَةُ

يبقى على ما اسلفنا أن تعبيرات الجاهلية عن تلك النزعة لم تكن على المنظور الصحيح الذي أراده وارتضاه الله عزّ وجل من تلك التالية وصفها استجابة لنزعات الفطرة وروّح بها عن نفسه وسكن بها هاجس الخوف من الحياة وحقائق الفناء مترصدة لخطاهُ والتي خلده وتسكن روحه.

ب- في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي:

عرفت خلال هذا العصرين دائرة الزهديات اتساعا أكثر مما كانت عليه في العصر الجاهلي وغيرت مفاهيمها ومدلولاتها وذلك بفعل أثر القرآن الذي جاء يثمن ويزكي النزعة الزهدية ليقرب بها النفوس إلى طريق الهدى والفلاح ويوطّد بها جانب آخر للصلة بين العبد وربّه، إذ جاء بمعاني جديدة والمعتقد الجديد الذي أقرّه الدّين الحنيف فكان لها أثر واضح في الحياة الزهدية كمعاني البحث والنشور وبسط معاني الثواب والعقاب في الدارين بالإضافة إلى ما شّرعه لما ينبغي أن يكون عليه الناس في حياتهم كأسر ومجتمعات تسودهم العدالة ويعمهم الخير ويبذل فيهم غنيهم لفقيرهم وغيرها من الدعوات الكريمة التي هيأت المجال الأرحب لنمو وتطور المعاني الروحية.

وتلك المعاني كلها داعية للزهاد في الدنيا والصّد عن زخارفها والإهتمام بأمر الآخرة إذ هي الحياة الحق التي تتوق وتطلع إليها النفوس فجاء مذكراً بها داعيًا إليها انطلاقًا من معاني آياته ونصوصه الشريفة ونحو ذلك حطاب الحق تعالى في معرض بيان مصير مَآلِ كل حي وقوله في معرضي حديثه عن الدنيا والحظ من قدرها وشأنها "**وَ مَا الحَيَاةُ الدُنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُور**"[1] وغير ما كثير من الآيات الحاكية عمن تلك المعاني وفي ظل ذلك كله لقيت تلك الآيات والنصوص صداها وأثرها في شعراء العصر الإسلامي حيث جعلوا منها قاموسهم الزهدي ومرجعية لأشعراهم يقول **شوقي ضيف**: "إن من يقرأ شعر المخضرمين يجد جمهور الشعراء يصدرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم"[2]، فراحوا يعبرون عنها في شدرات من قصائدهم الوعظية الداعية إلى تقوى الله والدعوة

[1]- سورة الرحمن، الآية:23.

[2]- شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي** "، دار المعارف، مصر، ط6، (د.ت)، ص: 32.

إلى الإعراض عن الدنيا والحذر من مغبة عواقبها والحديث عن بدل النفس والنفيس نصرةً للدّين وطلباً للثواب والنعيم المقيم، وهذا ما يمثل روح النزعة التي دعا لها الإسلام ومن ذلك ما قاله "**الحصين بن الحمام**" في أبيات تفيض بالمعاني الزاهدة التي استقاها من معاني وآيات الذكر الحكيم[1]:

وَيَوْمَ تُسْعَّرُ فِيهِ الحُـرُوبَ لَبِسْتُ إِلَى الرَوْعِ سِرْبَالَـهَا

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَنبِكَ إلاَّ التقِي وَنَفْسٍ تُعَـالِجُ أَجَـالِـهَا

أُمُورٌ مِنَ اللهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مَقَـادِيـرُ تُنْزِلُ أَنْزَالِـــهَا

أعُوذ بِرَبّي مِـنَ المُخْزيَـاتِ يَوْمَ تَرَى النَّفْسُ أَعْمَالَهَا

وَخَفَّ المَوَازِينَ بِالكَـافِرِيـن وَزُلْزِلَـتْ الأَرْضِ زِلْـزَالَـهَا

وَنَادَى مُنَـادى بِأَهْلِ القُبُورِ فَهُبُّـــوا لِتبَـرِز أَثْقَالَـهَا

وَسُعِّرتِ النَّـارُ فِيهَا العَـذَابَ وَكَانت السَلاسِل أَغْلاَلُهَا

ومنها كذلك قول "**نهشل ين حري**" في مرثية لأخيه "مالك" وكان قتل بمعركة " صفين"[2]:

أُنَـاسٌ صَالِحُونَ نَشَـأْتُ فِيهِـمْ فَـأَوَدُّوا بَعْـدَ إلْف واتِسَـاقٍ

مَضَـوا لِسَبِيلِهِـمْ وَ لَبِثَت فِيهُـمْ وَلَكِـنْ لاَ مَحَالَـةَ مِـنْ لِـحَاقٍ

أَرَى الدُنْيَـا وَ نَـحْـنُ نَعْبَــثُ فِيهَا موَلِية تَهَيَأَ لانْـطِلاَقِ

أُعَـاذِلَ قد بَقِيتَ بَقَـاءَ نَفْـسٍ وَمَـا حَيٌّ عَـلَـى الدُنْيَا بِبَـاقٍ

[1]- ينظر، المرجع نفسه ص: 71.

[2]- ينظر، المرجع نفسه ص: 75.

ومن بين الشعراء الذين تغنوا بتلك المعاني الروحية التي تعكس البُعد الزهدي **"حسان بن ثابت"** و**"كعب"** و **"بن زهير"** و " **لبيد العامري"** وغيرهم من شعراء العصر الإسلامي ليبقى ان الملاحظة بشعر هذه الفترة أنه لم تقم للزهد قصائد مستقلة كغرض فني كغيره من الألوان والأغراض الشعرية الأخرى ولم يعدو أن قامت منه شذرات ووقفات هي الأخرى اختلفت فيها التعابير عن النزعة الزهدية بغيرها من الأغراض الأخرى.

فكانت بهذا إرهاصًا لبلوغ فن شعري جديد لفترة تالية أين ظهر كغرض شعري يضاف إلى ألوان وأغراض الشعر العربي الأخرى وهو ما أكدّه قال " جاءت قصيدة الزهد العباسية لتحكي ردود الفعل لتيارات المجون واللهو التي ارتفعت موجتها وضحّت بها ساحات الدول وأحيانا قصور الخلافة، ويقف الزهاد من الشعراء عند القصيدة التي أوقفوها على هذا الاتجاه وكانت لها ارهاصات من خلال زهاد بني أمية على نحو ما عرف عن" **أبي الاسود الدولي"** و **"النعمان بن بشير الانصاري"** وغيرهما"[1].

غير أننا من خلال ما سبق نخلص إلا أن إرهاصات هذا الشعر امتدت إلى أبعد من ذلك إلى صدر الإسلام أين نجد له جذوراً لقوة أثر القرآن الكريم الذي عمّقه ووسّع من دائرة الزهد بل وابعد من ذلك اذا امتدت دراساته إلى أيام الجاهلية الذي مثله شعر التدّين، هذا وإن كانت طبيعة النزعة الزهدية التي تمثلها الجاهلي في عصره تختلف عن ماهيتها وحقيقتها في العصر الإسلامي فتلك مستمدة من عمق الفطرة الإنسانية في حين أخذ الزهد في عصر الإسلام مرجعيته من نصوص الشعرية أولاً، ثم لتزاوجها مطالب الفطرة التي تنزع الإنسان إلى الوقوف، وتساؤلات النفس عن المصير وحقيقة الحياة، بالتالي دَرَجَ تلك المدارج حتى استوى غرضًا شعريا مستقلا عن الأغراض الأخرى.

ج ـ في العصر العباسي :

[1]– عبد الله التطاوي، " **مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص** "، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006، ص: 58.

مثل العصر العباسي بجميع ما حمله من تحول في المناحي الحياتية متنفس هذا الأخير كغرض فني أقام لنفسه خصائص ومميزات وبين نفسه من غيره، فارتبط شعر الزهد برباط وثيق بالعصر العباسي" حيث نضج ودخل ساحة الشعر العربي فنا مستقلا له ثقله بين فنون الشعر وأصبح له شعراؤه الذين عرفوا به"[1] وتأتى ظهوره على يد الزهاد والمساك الذين تحركت نفوسهم بروح الغيره على الدين، ناقمين من مراره العيش المتفانية في اللهو والإعراض عن تعاليم الدين الحنيف منها بأشعار ومقطوعات وعظية م كرة بأن يوم القيامة موعد كل حي وأن العمر وإن طال قصير وأن الدنيا دار زاد لميعاد، محثرين من مغبة التعلق بها واللهث وراء حطامها الزائل فاتحين بذلك عالما من العلاقات الإنسانية بالمغيب، فينتقلون بالنفس إلى عالم الروحانيات التي تهز روحها وترتقي بها مراقي الصفاء والتفكير بمآل الآخرة.

فمن بين اولئك النساك والزهاد الذين أقاموا لذلك الاخير كينونته، شيخ الزهاد "سفيان الثوري"و "سفيان بن عينية" و"أحمد بن الخليل" و"مالك بن دينار" وابن المارك.. وغيرهم من الذين حفظ لهم التاريخ اخبارا من اخلاقهم لا يقفون على أبواب الوزراء والأمراء والقواد بل كانوا يكتفون من العيش بالكفاف ويرتضون شظف العيش، ويولون الدنيا بالأدبار ويرون الآخره دار القرار.

فقالوا في قصهم ومواعظهم أبيات ومقطوعات كثيرة منها ما يروونه عن القدماء ممن سبقوهم ومنها ما ينشئونه إنشاء، وأبرز مما أثر عن اولئك السادة قول الزاهد الناسك "مالك بن دينار" الذي ملأ مجالسه بذكر الموت2:

أتيـت القبــور فناديتهـا * أين المعظم و المحتقر ؟!
و أيـن المذل بسلطانــه * و أين القوي على ما قدر ؟!
تفانوا جميعاً فما مُخبــرٍ * و ماتوا جميعاً و مات الخبر!
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا * أما لك فيما مضى معتبر ؟!
تروح و تغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور**

فاكتسى بذلك شعر الزهد شهرة كبيرة، وشغل حيزا كبيرا من الساحة الشعرية، وذاع صيته حدا نظم فيه الشعراء الآخرين، سواء مما كان الزهد غايتهم والأقرب إلى نفوسهم كغرض شعري، أو ممن حملوا وابتعدوا

[1] – شوقي ضيف ،" **تاريخ الادب العربي ، العصرالعباسي**" ، مرجع سابق، ص401.
[2] – المرجع السابق ،ص 401.

بتعبيراتهم في اللهو والمجون والزندقة كأبي نواس ومسلم والعتاهية الذي كان أبرز شعراء زمانه في هذا اللون الشعري ليبقى أن ما ميز هذا الأخير خلال هذه المرحلة قصر حديثه في حلقة لم تتخط مسألة الإعراض عن الدنيا وطلب الآخرة، وانقسمت تعابيره انقسام النزعة ذاتها حيث نجد أن الزهد كنزعة قد تميز بوجهين اثنين:زهد اسلامي خالص وهو الذي يقوم على نظره معتدلة في الحياة قائمة على عدم رفض الدنيا مجملها بل للتوسط في طلبها ومتاعها وهو ما تمثله النساك و بعض من الشعراء الذين صدقوا اقوالهم بأعمالهم، وجناح أخر من الزهد مثله الزنادقة الذين اعتنقوا تعاليم المانوية*[1] التي ترى أن من تمام النسك أن يعيش الناس من سؤال الناس فيتحمل الناس وزر ما أطعم ولا يحملون، وتذهب الاخبار إلى أن العتاهية ابرز من تقلد هذا النمط من الزوهد والذي سنعرض له في فصل آخر من دراستنا فنقف على حياته ونستبين حقيقه زهده.

ثم ليهد بعدها شعر الزهد منحا آخر عبر عن تطوره وتخطيه للمسحة الأولى التي عرف بها حيث انتقل من الحديث عن المعاني البسيطة للزهد التي تقف عند حد العزوف والإعراض عن الدنيا إلى معان أعمق مثل المحبة الالهية التي تكلم عنها المتصوفة والتي يفنون فيها فناء يحقق لهم السعادة الروحية فعلى حد ما زعموا، تقول رابعة العدوية في رائعة الحب الإلهي:[2]

كأسي وخمري والنديم: ثلاثة وانا المشوقة في المحبة :رابعة
كأس المسرة والنعيم يديرها ساقي المدام على المدى متتابعة

والصوفيا ظهرت غي البلاد الاسلامية بدءا من العصر العباسي الأول حيث مهد تبتل الكثير من الناس وتنسكهم للعبادة، إلى ظهور مقدمات التصوف الذي لم يظهر إلا في العصر الثاني من الحكم العباسي، فكان بذلك حديث الإعراض عن الدنيا فيها أبرز ما ميز الطور الأول لشعر الزهد، لتمثل مسالة الحب الإلهي الوجه الثاني منه، وهو حب مغاير لما كان سائدا ومعروفا لدى النساك قبل المتصوفة التي رأت ان تبتعد بالحب الإلهي وتنتقل به من مزيته النفعيه إلى حب خالص لذاته تعالى لتبلغ به أسمى درجات السمو درجات السمو و الرفعة الروحية وهو سمو روحي وسعي من دائره المعاني الزهدية.

---

[1] – * المنويه ديانه فارسية تنسب إلى مؤسسها ماني وخلاصة مذهبه أن العالم نشأ عن النور والظلمة فعن النور نشا كل خير وعن الظلمه نشأ كل شر و الشر والخير قد امتزجا في هذا العالم امتزاجا تاما فوجب الخلاص منه ،ذلك نهى ذبح الحيوان لانه شر وحرم النكاح حتى يستعجل الفناء.

[2] – شوقي صيف ، "**تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي**" ، مرجع سابق، ص 402

وقد كان الشعراء الزهاد يعظون الحكام والخلفاء ويحذرونهم شرور التعلق بالدنيا الفانية وكانوا يتوصلون إلى ذلك عن طريق الشعر كثيرا، لما كان للشعر من تأثير كبير في النفوس[1].

ومن ذلك **تحذير الشاعر أرطأة بن سمية لعبد الملك بن مروان**" من الفناء في قوله:

رَأَيْتُ المَرْأَء تَأْكُلُهُ اللَيَالِـي كَأَكْلِ الأَرْضِ سَاقِطَة الحَدِيدِ

ومَا تَبغي المَنِيَة حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدم مِنْ مَزِيدِ

واعْلَمْ أَنَهَا ستكـر حتي تُوفِـى نِذْرَهَـا بِأَبِـي الوَلِيدِ

وكان شعراء الزهد يركزون على معان إسلامية كثيرة منها:

- **التوبة:**

وآيتها عند **عبد الله المبارك** (ت 181) حين يقول[2]:

رَأَيْـتُ الـذُنُوبَ تُمِيـتُ القُلُوبَ وَيَتْبَعُهَا الذُّلُ أَزْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ فَاخْتَرْ لِنَفْسِـكَ عِـصْيَانَـهَا

- **التوكل:**

وآيته القناعة بالله وحده دون سواه وفي هذا يقول **سفيان الثوري**(161)[3]:

إِنْ كُنْتَ تَرْجُوالله فَاقْنَعْ بِهِ فَعِنْدَهُ الفَضْل الكَثِيرَ البَشِيَر

مَنْ ذَا الـذِي تَلْزَمُهُ فَاقـَة وَذَخـره الله العَلِـي الـكَـبِيـرَ

– القناعة:

[1]– المرجع انفسه، ص: 54.

[2]– المرجع السابق، ص: 55

[3]– مصطفى السيوفي، " **تاريخ الأدب في العصر العباسي** "، المرجع السابق ، ص: 55 .

وآيتها التعلق بغنى النفس لا بغنى المال من ذلك قول "**بشير بن الحارث**" (228هـ)[1]:

قَالُوا رَضِيتَ بِذَا؟ قُلْتُ القَنُوع غَنِي لَيْسَ الغَنِي كُثْرَةُ الأَمْوَال وَالوَرَق

رَضِيتُ بِالله فِي عُسْرِي وَفِي يُسْرِي فَلَسْتُ أَسْلُكُ إِلاَ وَاضِحَ الطُرِقِ

- **الانصراف عن الدنيا**: لأن الدنيا غرورة خادعة ومن ذلك قول ريحانة التي لقبها الزاهد "**إبراهيم بن الأدهم**" (ت 160هـ) فإذا البكاء قد ترك في خدها خطا وعندما ذاكرها الدنيا والآخرة قالت[2]:

أَرَى الُدنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدِهِ عَذَابًا كُلَمَا كبُرَتْ لَدَيْهِ

تُهِينُ الكَرَامَات بِهَا لِصُغْــرِ وَتُكْرِمُ كُلَمَا هَانَتْ عَلَيْهِ

إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

- **ذكر الموت والخوف** منه و البكاء على الأيام الخوالي، وفي هذا يقول "**محمود الوراق**" (ت 230 هـ)[3]:

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الأَجَــلِ وَبَعْدَ فَـوَاتِ الأَمَــلِ

وَوَاقِـدِ شَــب طــرا يَعْقُب شَبَابًا رَحـــل

شَبَاب كَأَن لَمْ يَكــنْ وشَيْب كَـأَنْ لَمْ يَـزَلْ

طَـوَاكَ يَشِيرِ البَقَــاءَ وحَـلَ يَشِيـر الأَجَـلَ

- **ذكر الحساب والعقاب و الخوف منهما** كما يقول أبو العتاهية (ت 212 هـ)[4]:

---

[1]- المرجع نفسه ، ص: 55 .

[2]- المرجع نفسه، ص: 55.

[3]- المرجع السابق، ص: 56.

[4]- المرجع نفسه، ص: 56 .

تَقَلدَت العِظام مـن الخَطَايَـا كَـأنِي قَدْ أمنْت مِـنَ العِـــقَابِ

بِـأيـةِ حِـجَةِ أحْـتَج يـــوْمَ الحِسَابْ إذَا دعَيْت إلَى الحِسَاب

هُمَا أمْرانِ يُوضِح عَنْه مَا لِي كِتابِي حِينَ أنْظر فِي كِتَابـي

فإمَا أَنْ أَخْلُد فِي نَعِيـــم وإمَـا أَنْ أَخْلُـدَ فِـي عَـــذَابِ

وهكذا كان الزهد يركز على المعاني الإسلامية التي تتعلق بالحياة و الموت والسلوك الإنساني الذي يتخذ من الموت وما بعده من نعيم الجنة، وجحيم النار سببا للاستقامة والقناعة والتعلق بالله تعالى والتوكل عليه[1].

2. أسباب ودواعي ظـهـوره:

إن المتتبع لنشأة تيار الزهد يجد أن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ظهوره كغرض شعري- توسعت وازدانت به الساحة الشعرية العربية- يعود أساسا إلى اتساع صيت الحركة الزهدية خلال هذا العصر، وقد ظهرت دواعٍ وأسبابًا دفعت الشعراء للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم إزاء ما بلغته الحياة من وُغُولٍ في اللهو والمجون وذلك في صروح وقوالب شعرية تعكس البعد الحقيقي الذي بلغته النفوس السوية من التذمر والسخط على تلك الأوضاع المتهتكة في المجون، ويمكن إجمال تلك الأسباب التي وسعت الحياة الروحية والتي انعكست على الحياة الشعرية في الآتي:

أـ شيوع اللهو والزندقة:

شهد العصر العباسي أكثر من أي عصر انتشارا لتيار الزندقة والمجون والانحلال الأخلاقي، يقول الناقد **مصطفى الشعكة:** " غلا القوم في تلك الفترة الباكوره العباسية واشتطوا في طلب الدنيا وبالغوا في طلب الملذات والركض وراء الشهوات، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل اندفعوا إلى الزندقة والخروج

[1]- مصطفى السيوفي، المرجع السابق، ص: 56 .

عن ربقة الايمان، فكان من البداهة أن يظهر تيارٌ آخر على نقيض تيار اللّذة والمجون، إنه تيار الزهد"[1].

وهذا التهتك والانحلال الكبير والعظيم ما شهد العالم الاسلامي مثله إلا في العصر العباسي، فقد كانت تقام حلقات ومجامع يتعاطى فيها أصحابها ألوانا من المحرمات، ويمارسون فيها من أسباب الانحراف ما شاءت طبائعهم ممارسته، فانغمس في تيارها الجارف خلق كثير من عوام الناس وخاصّتهم حتى الشعراء يُعبئون منها الكؤوس حتى صاروا من أعلامها، ينظمون فيها القصائد والمقطوعات بنشوة الحياة التي يعيشونها.

وقد وصل بهم مجونهم أن راحوا يفاخرون فيه، فيعرض بعضهم على بعض ما عندهم من أصناف وألوان العبث والمجون، مثلما حدث في مجلس أحد شعراء المجون ببغداد "**زُرْوُرْ الرَفَاء**" وكان من بين جلسائه "**والبة بن الحباب**" و "**مطيع بن اياس**" و "**علي بن الخليل**" وغيرهم من الشعراء، راح يعرض بعضهم على بعض في مقطوعات. ما عنده من مغريات فكان "**زُرْوُرْ الرَفَاء**" يعرض ويغري نُدَمَاءَهُ لتوجه إلى بيته وذاك لما حاكاهم بقوله[2]:

ألا قوموا بنا نمشـــي إلـى بستـان صبـــاح

فعندي لكـــم الورد وما شئتم من الـــــراح

وَبَيْتُ مَـنْ رَيَاحِيـنَ تُـــــفَاحَ وَ لَـــمَاحْ

وَصَنَـاجَةُ فِتْيَـــانِ بِصَنْـجِ جِـدُّ صَـيَاح

ليبقى أن الملاحظ على هؤلاء الشعراء الذين صدروا نزعة اللهو والمجون وقالوا فيها كانوا من الطبقة السفلى التي تعيش على الكفاف وتحيا حياة الحاجة والفقر، ولعل هذا في رأينا ما دفع بأولئك الشعراء إلى الانحراف والوغل فيه، بل والتباهي به والمنافسة فيه منافسة أهل الفضل وهو أمر عصيب يؤدي

[1]- مصطفى الشعكة، " **الشعر والشعراء في العصر العباسي** "، دار المبليين للطباعة، بيروت، ط5، 1980، ص: 201.

[2]- المرجع السابق، ص: 184.

بالمجتمع إلى الهاوية، ممّا دفع نساك والزهاد إلى محاربته والتحذير من عوائده، بوعظ الناس وارشادهم بشتى الوسائل والسُبل فكان الشعر من أبرزها لعظم أثره في النفس.

ب ـ ظهور الوعظ والنساك:

عملت النفوس السويّة من الزهاد والنُسّاك على الوعظ منذ استفحال أمر ذلك التيار الجارف – ونقصد به تيار اللهو والمجون – الذي انغمست فيه الناس بشكل كبير خلال هذا العصر لغلبة الأثر الأعجمي على العوائد الاسلامية، فزجروا الناس وزهدوهم في تلك الحياة التي لا يرتضيها الدّين الحنيف، ونهى عنها بصريح نصوصه، فراحوا بالوعد يرشدون الناس واشتدوا فيه مزاوجين فيه بين التذكير بالوعد والوعيد وسبيل القص "وهو مزاوجة والتحام قديم من تميم الداري وكعب الأحبار في عصر الخلفاء الراشدين، ومنذ قُصّاص الفتوح من أمثال أبي سفيان بن حرب، وقد ازدهر هذا الوعد القصصي في عصر بني أمية"[1]، وتكامل ازدهاره في هذا العصر أي – العصر العباسي – فطعموا مواعظهم بقصائد ومقطوعات تحث على الزهد، وقد مثلت جوهر الشعر الناشئ.

فمن بين أولئك الوعاظ والنساك الذين أكثروا من إنشاد الشعر الوعظي، ودعوا فيه للإعراض عن الشهوات والسعي في طلب نعيم الآخرة، **"الشيخ الزاهد سفيان الثوري"** و **"عبد الله بن مبارك"** و **"ملك بن دينار"**، و **"سفيان ابن عينيه"** وغيرهم ممن قالوا في الزهد والحكمة والموعظة، وهم الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية اصلاح المجتمع، بصرفه إلى الخير ومنعه عن الشرور والآثام "فكانوا بذلك قد قدموا مادة واسعة لمعاصريهم من الشعراء كي يصوغوا على نمطها مواعظ تزكي الزهد والعمل الصالح في نفوس الناس"[2].

ج ـ الاستبداد السياسي:

[1]– شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول** "، مرجع سابق، ص: 84.

[2]– المرجع نفسه، ص: 400.

يقول الناقد **عيسى المصري**: "مما لا ريب فيه أن حركة الزهد لا تظهر إلا في عهود الاستبداد السياسي"[1]، وهو من أقوى العوامل والأسباب التي أدت إلى انتشار الحركة الزهدية وانعكس سلبا على الحياة الاجتماعية، حيث انقسم المجتمع إلى طبقتين لا وسطى بينهما، طبقة حاكمة مستغلة، وأخرى مغلوبة على أمرها، مما دفع بالزهاد والوعاظ إلى التنبيه من خطر استفحال تلك الظاهرة وعوائدها السلبية على المجتمع والحياة، فكتبوا ينبهون عن صعوبة الحياة. التي يعيشها العامة من غلاء المعيشة وضيق الأرزاق والأقوات، حاثين الناس على التوكل على الله في استجلاب رغائبهم ومطلب عيشهم حاملين من جانب آخر على أرباب السلطة وسادات الحكم بتذكيرهم بالوعيد الذي أعده الله تعالى للمخالفين لأمره تعالى.

ثالثـاً: صفـات الـزهـاد:

لما حمل الزهد مدلول الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة بالإذعان لتعاليم الدين الحنيف امتثالا لأوامره ومجانبة لنواهيه، نجد له أثرا على من تقلدوه وسلكوه كمنهج حياة أقام منهم خصائص وصفات وركبوا أَقْرُبَ النجاة، إذ تربطهم قواسم مشتركة تجسد صفاتهم التي تميزهم وتفردهم عن غيرهم في النظر إلى الحياة، سواء كانت قاصرة على النظرة الإنسانية الغريزية، أو النظرة التي أسس لها الإسلام، والذي يتعد بها إلى مدلول أعمق وأوسع لما أقامه من حقيقة الحياة والوجود، وصفات الزهاد كثيرة من الصعوبة بمكان الوقوف عليها كاملة، ليبقى أن المتقفي لها يجد أن أهمها الآتي:

1. **الـورع**: هو من أبرز السمات التي يتحلى بها الزهاد، وتتجسد ماهيته أساسا فيما أقره الصوفي "**ذو النون المصري**" لما قال "الورع تحرى الحلال في كل شيء"[2] فهو كفٌ عن المحارم ومجانبة النفس الوقوع فيها، ينقسم إلى قسمين انقسام النزعة الزهدية ذاتها:

[1]– عيسى المصري، " **السلطة في الإبداع في شعر العصر العباسي** "، دار الرائد، الأدرن، ط1، 2007، ص: 241.

[2]– عبد الحليم مُحَمَّد، " **العالم العابد ذو النون المصري** "، دار الطباعة، القاهرة، ط1، 2004، ص: 74.

أ- ورع مستمد من الفطرة والطبيعة الإنسانية التي تنزع فيها النفس إلى الحق وتتدارك فيها هفواتها فتسلك سبيل الاستقامة، وهو أصل يشترك فيه كل الزهاد كلٌّ ونظرته من الاستقامة فنجد أن الجاهلي قد تمثل هذا الجانب من التورع عن المحارم، فنراه ساع للأخذ بطيب الرزق ومجانبة الأخذ مما تحومه الشكوك وتتخامه الزلات من الرزق، و **"عنترة العبسي"** مثال عن ذلك الأخير، ففيما قيل أن النبي ﷺ أثنى عليه حيث قال: " ما ذُكِرَ لي أَعرابي وأحببت أن أراه إلا عنترة"، لا لشيء إلا لتحريه لطيب الرزق وتورعه عن الحرام، لما قال[1]:

وَلَقَدْ أَبِيْتُ عَلَى الطَوى وَ أَظَلَـهُ حَتَّى أَنَـالَ بِهِ كَرِيـمَ المَأْكَـلِ

وهذا النوع من الورع لا يعدو أن يكون انفعال استجابة لمطالب الفطرة التي تملي على الإنسان في أحايين كثيرة ما يعبر عن الجانب الذي جلبت عليه الإنسانية، لأن الزهد ميزة وخاصية بشرية لا تحدها أقوام ولا أزمان اعتبارا لما أسلفنا، فهي أصل مكون من جملة إملاءات النفس البشرية.

ب- ورع استقى ماهيته من الدين الإسلامي الحنيف، حيث جاءت نصوصه لتعطي البعد الحقيقي لماهية الورع، فأمرت بتحري الحلال والأخذ به في كل شيء، في المأكل والمشرب...وغيره، فمن تلك الآيات الحاثة على ذلك قوله تعالى:" يَا أَيُهَا الّذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ"[2]، ومتابعة كذلك لتعاليم المصطفى عليه الصلاة والسلام، إذ كان أحرص الزهاد على الأخذ بالحلال وتحريه، وأحرص على امتثاله والعمل به، وروي عنه الكثير من الأحاديث في هذه المسألة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إتَقِّ المِحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ"[3].

وقد تمثلت تلك الوصايا النبوية الكثير من زهاد الأمة من الصحابة والتابعين فلزمها من النساك: **سفيان الثوري، وبن دينار، وبن الأدهم**، الذي كان كثيرا ما يقول: "أطب مطعمك ولا حرج عليك ألا

[1]- ينظر أبو بكر بوشيبة، " **النقد في صدر الإسلام** "، محاضرات في مقياس النقد القديم، جامعة أدرار، موسم 2015-2016.

[2]- سورة البقرة، الآية: 172.

[3]- شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي** "، مرجع سابق، ص: 21.

تقوم الليل ولا تصوم النهار"[1]، وغيرهم من النساك الذين حمل بهم تورعهم وزهدهم الكفاف عن مخالطة الخلفاء والأمراء والوقوف بأبوابهم عفة وعفافا ورضا بشظف العيش وخشونة الحياة، فهو غرس أخذ بزمامه من عرفوا قدره وفعله في إقامة النفس.

2. التوكل على الله:

وذلك في المكاسب والأرزاق وغيرها من الرغائب، فهم لا يقفون بباب أحد يسالونه سوى الله لكمال الثقة فيه سبحانه، لأن له ملكوت كل شيء، وأنه المعطي المانع وغيره قاصر، فقد روي أنّ النبي المصطفى ﷺ وصى غلاما قائلا: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت استعن بالله"[2].

وهاته المزية والسمة نجدها قديمة قدم النزعة الزهدية، ففي الجاهلية نجد **"عبيدة الأبرص"** قد تناول هذا الموضوع، فقد أثر عنه النظم في شعر التدين الذي يمثل النفس الأول لشعر الزهد وأخلص فيه القول وأدرك المرامي بمن تصحه والأخذ بحكمة، من ذلك ما قاله في إيجاز بألفاظ عظيمة المبنى عميقة المعنى تأخذ بالألباب وتقف بالنفس فتقيم الشائن منها، وتكسر غيّها، فترتقي بها إلى الحقيقة الخالدة من أن الله له الأمر كله، وقد قال في ذلك الشاعر[3]:

مَنْ يَسْأَلْ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللهِ لاَ يَخِيبُ

ومع بزوغ فجر الإسلام عرفت هذه المزية اتساعا وباتت أكثر رسوخا، حيث عرفت النفس ما لأجله خلقت من الإخلاص لله وحسن الظن به، وحسن التوجه إليه والتوكل عليه في استجلاب الأقوات والأرزاق وسائر المكاسب، ومثل العهد الاسلامي النموذج الأول بالتوكل على الله، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه ويأخذ بأيديهم ويحثهم على الامتثال لأوامر الله سبحانه تعالى واجتناب مناهيه، تجسد ذلك في قوله ﷺ: "لَوْ أَنَكُمْ كُنْتُمْ تُوَكلون عَلَى الله حق تَوَكُلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَيْرُ تَغْدُو خَمَاصا وتروح بطانا"[4]، وقد وعى ذلك أصحابه وأخذوا به، وها هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي

---

[1]- زكريا شرف الدين، " **الأربعين النووية** "، دار الإمام، باب الواد، الجزائر، ط2، 2010، ص: 223.

[2]- المرجع السابق ص: 223.

[3]- ديوان عبيد بن الأبرص، ص: 49.

[4]- الحافظ مُحَمَّد الترميذي، " **صحيح سنن الترميذي** "، ط2، المجلد1، مكتبة المعارف، الرياض، 2002، ص:542.

الله عنه يتمثل لأوامر النبي عليه الصلاة والسلام لما نهر شابا وجده مرابطا في المسجد تارك لأسباب الرزق، فأمره بالسعي والعمل ونصحه نصح عارف، ونجد من هذا مضارعة من **"أبي الأسود"** لما نصح ابنه بضرورة الأخذ بالأسباب وتفويض الأمر إلى الله حيث قال[1]:

وَ مَا طَلَبَ المَعِيشَةِ بِالتَمَنِي وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الـدِلاَءِ

تَجئـكَ بِمِلْئَـهاَ يَـوْمًا، وَيَـوْمًا تَجِئْكَ بِحَمَاةِ وَ قَليل مَاءٍ

وَ لاَ تَقْعُدَ عَلَى كُلَ التَـمَنِي تَحِيل على المَقْدَرِ وَ القَضَاء

ولا تكاد الحياة تتقدم إلا وتجد هذه المزية قوتها وكينونتها، فالظلم والجور الذي عاشه الموالي في العهد الأموي والذي تعصبت فيه الخلافة للعرقية العربية وأعلتها على غيرها، قد دفع بهم ضعفهم أمام مجابهة الواقع والرد عليه – أي الموالي – برفع ما أصابهم من الظلم، بالانكفاء على النفس واللجوء إلى رب العالمين والتوكل عليه، و التوجه إليه في طلب مكارمه وفضائله، ليمتد أثر تلك الأخيرة إلى الخلافة العباسية التي كثر فيها الفساد والتعفن الاجتماعي بفعل الكثير من المؤثرات، حيث انقسم المجتمع طبقات، عاشت فيه العامة من الناس في فقر وحاجة، مما دفع الزهاد من الشعراء، إلى التعبير عن حالهم فعكسوا من خلال تعابيرهم الواقع المعيش، مؤازرين العامة من الناس، دافعين بهم إلى تفويض الأمر لله سبحانه وتعالى والتوكل عليه في كل شيء حاقدين ثائرين على أرباب الحكم الذين سعوا في تظلم الرعية بتذكيرهم بالموت والفناء وأن الحي وإن طال عيشه، لابد من رجعه، ولعل خير شاهد يصور لنا هذه الحيثية قول أبي العتاهية[2]:

إِنِـي أَرَى الأَسْـعَارَ أَسْـعَارَ الرَعِـيَة غَـالِـيَةً

أَرَى الَمكَاسِبَ نَـزْرة وَأَرَى الـضَـرُورَةَ فَـاشِـيَةً

وَأَرَى هُمُـومَ الـدَّهْـرِ رَائِـحَةَ تَـمـرٍ وَغَـادِيَـةً

وَأَرَى اليَتَـامَى وَالأرا مِل في البُيُـوتَ الخَالِيَـةَ

[1]- ينظر: شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب في العصر الإسلامي** "، ص: 241.

[2]- ينظر:" **ديوان أبي العتاهية** "، ص: 432.

مِنْ بَيْنِ رَاح لَمْ يَزَلِ يَسْمُـو إِلَيْكَ وَرَاجِيَـــةً
يَشْكُـونَ مُـجْهَـدَةً بِـأَ صْـوَاتٍ ضِعَافٍ عَالِـيَ

جسد لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات مرحلة حساسة من الحياة العباسية ضاعت فيها العدالة الاجتماعية، فقد عاش الناس حياة مريرة ساد فيها الفقر والعوز وهذا كله بسبب ابتعاد الحكام عن نهج الاسلام والبعد عمّا أقرّه الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز.

جـ- العزلة والانفراد:

هي من السمات البارزة في منهج الزهادة، اذ كثيرا ما يرغب النساك عن مخالطة الناس ويؤثرون الانفراد والجنوح إلى العزلة، فمن الزهاد من يلزم بيته ومنهم من يطيل الاعتكاف في المساجد ومنهم من يترك أهله ووطنه مؤثرا الإقامة بمكة مجاورا البيت الحرام، ومنهم من ساح في البادية وهام في الصحاري و لاذ بالجبال، وبن الجوزي ذكر في صفوته جماعة من هؤلاء النساك، فذكر جماعة تحت عنوان "**ذكر المصطافين من عُبّاد الجبال**"، وجماعة تحت عنوان "**ذكر المصطافين من عُبَّاد البراري والفلوات**"[1].

وكان داعي عزلتهم في ذلك الرغبة في الانقطاع للعبادة والتقرب إلى الله والتزلف إليه، نحو ما حكاه "**عبد الستار ضيف**" عن رجل زاهد: "لقيه مُحَمَّد بن رافع في بعض الطريق ببلاد الشام سأله أن يدله على عمل يقربه إلى الله عزّ وجل، فقال الفتى الزاهد: يا أخي قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أنفع من الفرار من الناس وجزء مع الدنيا، فمن قوي على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب"[2].

فالعزلة كما يراها ذلك الزاهد من أنفع العبادات، إنها الدواء الذي تشفى به القلوب وتكسر بها شهوات النفس، وتخلصها من حب الدنيا والتعلق بها، واللهث وراء حطامها الزائل، إذ بالعزلة تستوقف النفس لحظاتها وتعد سكناتها، فتتجه القلوب إلى بارئها بعد تطهيرها من شوائب الدنيا.

فلا غرور أن أكثر الزهاد حذروا في كثير من مقاماتهم الوعظية من مخالطة الناس والانضمام إلى مجالسهم، ولم يقف ذلك حد الأقوال فقط، بل راحوا يؤلفون كتبا كثيرة تتخذ من العزلة موضوعا لها

[1]- ينظر: بن الجوزي، "**صفة الصفوة تحقيق مُحَمَّد فاخوري**"، مصر، ط1، م4،(د.ت)، ص: 370.
[2]- عبد الستار ضيف، مرجع سابق، ص: 207.

تبحث عن حقيقتها وتبين رأي الدين فيها، وتلمس لها الأسس الدينية في النصوص الصحيحة كما تحاول أن تجد لها كيانا في عمل السلف الصالح، فمن ذلك كتاب "**العزلة**" للحفاظ بن أبي سليمان وكتاب "**الانفراد**" للحافظ بن أبي الدنيا، ومن السنة ما جاء من اعتزال المصطفى عليه الصلاة والسلام قومه لما جافوه وأذوه، فأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى الحبشة والمدينة.

ونجد كذلك حثا من السلف الصالح على التزام العزلة واجتناب مخالطة الناس، وقد وجدت أقوال كثيرة تؤكد هذا التوجه، فمنها قول "**أبو حاتم بن حيان**": " الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس مع توخي مخالطتهم، إذ الاعتزال عن الناس لو لم يكن فيه خصلة تحمد إلا السلامة من مفارقة المأثم لكان حقيقا بالمرء أن لا يكدر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدي إلى المناقشة"[1].

فالمتأمل لهذه الأحاديث والأقوال يجد أن العزلة صيانة للدين والنفس في وقت تتنازع ساحات الناس الفتن والشرور، خاصة ما ميز العصر العباسي من تفشي للفساد، فلم يجد فيه الأتقياء من الناس غير العزلة ملاذا يتنفسون فيها الجو الديني الحق الذي أقامه النبي ﷺ وسار عليه ما شاء الصالحين والأتقياء والأصفياء.

وللعزلة خصال حميدة يقرّها كل حكيم وعاقل دفعت بالكثير لتمثلها والأخذ بناصيتها فمن خصالها:

- التفرغ للعبادة والتدبر والاستئناس بمناجاة الله.
- التخلص من المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبا بالمخالطة فيسلم بالعزلة من الغيبة والنميمة والرياء... وغيرها من الآثام التي توجدها المخالطة.
- الخلاص من الفتن التي تعكر على النفس صفوها وحسن توجهها واستقامتها، وهو ما مثله النساك في العصر العباسي بوجه خاص، لما كثرت الفتن والمثيرات فلازم الزهاد المساجد ونسكوا بها، واعتزلوا غوغاء الناس وعامتهم الذين أخذتهم الدنيا وغرتهم بزخارفها الكاذبة.

[1]- بن أبي الدنيا، " **كتاب العزلة والانفراد** "، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ث)، ص: 14.

بهذه المزايا والخصال نجد أن الشعراء قد صوّروا هذا الجانب من حياة الزهاد بمجانبتهم مخالطة النّاس، والميل للوحدة والانفراد، ومن ذلك قول القائل[1]:

- **إذَا انْفَرَدَ الفَتَى أَمِنْت عَلَيْـهِ دَنَايَا لَيْسَ يُؤْمِنُهَا الخِـلاَطُ**
- **فَـلاَ كَـذِبٌ يُقَـالُ ولاَ نَـمِيـمُ وَلاَ غَلَـطٌ يُخَافُ وَلاَ غِـلاَطُ**
- **وَكَمْ نَهَضَ اِمْرُؤٌ مِنْ بَيْنِ قَوْمٍ وَفِي هَادِيهِ مِنْ خِزْيٍ عِـلاَطُ**

فهو يرى في انفراد الإنسان أمانا من سوءات المخالطة، لما يشيع في مجالس السوء من النميمة والغيبة والكذب، فبالعزلة والانفراد تتحقق فضائل دينية وخلقية جاء الدين الحنيف ينهى عنها في غير ما آية من آياته، تهذيبا للنفس وترويضا لها على المحاسن والفضائل، فلا تنال النفس حظها من الاستقامة إلا بالانفراد واعتزال العبث ومجالس الآثام.

فإن كانت العزلة بهاته الأهمية لابد من الوقوف منها على حقيقة تمثل مدار كنهها وماهيتها إذ من الانفراد والاعتزال ما هو مذموم يجانب الصواب، حيث قال المصطفى ﷺ: "إن أعجب الناس إلي رجل مؤمن بالله ورسوله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعمر ماله ويحفظ دينه ويعتزل الناس"[2]،فمن خلال هذا الحديث تتضح معالم الاعتزال التي أقرها الشرع الحكيم، إذ لا تتعداها إلى الرهبنة التي نهى عنها الله عزّ وجل ولم يرتضيها لعباده، إنما نهى عن المخالطة التي لا خير فيها ومجالس اللغو وسيء القول والفعل فقال: "فلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَالِمِينْ"[3].

لذلك نجد أن العزلة الموغلة في الرهبنة لا تتفق مع روح الإسلام، وتعطل كثيرا من شرائعه ومصالح العباد، فالتعاون والدعوة إلى التكافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تمثله الكثير من الوعاظ والنساك، نجدها لا تتأتى إلا من خلال المخالطة والتعامل والتفاعل مع النّاس، ومن جانب آخر نجد لها إهدار كبيرا لطاقات إسلامية بسبب المغالاة في الاعتزال والانفراد، فتجد الكثير من الناس ينزوي

---

[1]- ينظر: عبد الستار مُحَمَّد ضيف، مرجع سابق، ص: 209.

[2]- الحافظ بن أبي دنيا، " **كتاب العزلة والانفراد** "، مرجع سابق، ص: 17.

[3]- سورة الأنعام، الآية: 68.

في المساجد والزوايا بدل طلب أرزاقها وأقواتها، ولا تشارك في تفعيل الحياة، مما يقف حائلا أمام تقدم مجتمعها الذي لا يقوم إلا بتظافر طاقات وجهود أبنائها، إن كان للعزلة من الخصال ما يحمد فإن لها من المزايا ما يعاب، وحكى منها "**الحافظ بن أبي الدنيا**" سبعا فقال: "... فأما عن آفات العزلة فهي سبع، في العزلة حرمان منها وابتعاد عنها وهي[1]:

1-حرمان تعليم وتعلم، وهما من أعظم العبادات، والعزلة قبل تعلم العلم المفروض عصيان.

2-حرمان النفع والانتفاع ولا يحصلا إلا بالمخالطة.

3-حرمان التجارب فهي لا تأتى إلا بالمخالطة ومعاشرة الناس.

4-حرمان التواضع، إذ لا يقدر عليه بالوحدة و الانفراد.

5-حرمان الثواب وتحصيله، لأن العزلة لا تمكن صاحبها من حضور الصلوات ومجامع الخير، وثوابها لا يتأتي إلا بالمخالطة.

6-حرمان الناس واستئناس بمجالس الخير كمجالس المشايخ وأهل العلم بالسمر إلى حديثهم الطيب والانتفاع بخصالهم الحميدة.

ومنه نستخلص أنه لابد من التوسط في العزلة بمجانبة مجالس الفساد وغوغاء الناس والأخذ بمجالس الخير ومجامع الفضل والهدى.

[1]- الحافظ بن أبي الدنيا، " **كتاب العزلة والانفراد** "، مرجع سابق ذكره، ص: 05.

الفصل الثاني: شعر الزهد عند أبي العتاهية وخصائصه الفنية

أولاً: حياة أبـــو العتاهية

1. أصله ونشأته
2. مـــــذهبه
3. علاقته بالنساء

ثانيًا: زهد أبـــو العتاهية

1. لمحة عن زهده
2. دواعـــي زهـده
3. حقيقة زهـــده

ثالثًا: زهديات أبو العتاهيـة

1. مواضـــعها
2. مـــــواردهـــا
3. خصائصها الفنية

أولاً: حيـاة أبـو العـتاهـية:

1. أصلـه ونشـأتـه:

"هو إسماعيل بن سويد بن كيسان مولى عنزة وكنيته أبو إسحاق، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولا من موالي بني زهرة".[1]

غلب عليه لقب "أبا العتاهية" وصار معروفا به شائعا بين أهل عصره، ويعود ذلك إلى ما جاءت به الأخبار في سِرِّ تلقيبه إلى أنَّ الخليفة المهدي قال له يوما "أنت إِنْسَانٌ متحذلق مُعتَّه فاستوت له من ذلك كُنْيَةٌ غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له في الناس".[2]

"يذكر أَنَّ أصله من عنزه لجدهم كيسان، الذي كان من أهل عين تمر التي غزاها خالد بن الوليد رضي الله عنه في إحدى خرجات الفتح، فأسبي على أثرها كيسان مع جماعة من صبيان ونساء من تمر ، وكان يتيما يكفله قرابه له من أهل عنزة، فتوجَّه به إلى أبي بكر رضي الله عنه، فجعل يسألهم عن أنسابهم وأصولهم، فأخبره كيسان أنَّه من عنزة فسمعه عباد بن رفاعة العنزي يقول ذلك فاستوهبه منه، فأعتقه وتولاَّه فعاش بذلك كيسان بين أهَالي عنزة وصار من مواليهم".[3]

ومن هذا فأبو العتاهية ذا أَصْلٍ عربي لأن أصل أجداده من نصارى عين تمر العربية، ورث الولاء من أجداده، ولكن رغم هاته الحقيقة نجد أَنَّ أبا العتاهية لم يتمسك بذلك الولاء الموروث إلا عند الحاجة، كما صَرَّح به هو حيث يقول: "وما في واحد ممن انتهينا إليه خير ولكن الحق أحق أن يتبع".[4]

ويتضح لنا من هذا أَنَّ أبا العتاهية كان يتردَّد في ولائه من قبيلة إلى أخرى، وفي رأينا أَنَّ ذلك يعود إلى إحساسه العميق بالدُّونية من أهل عصره مكانةً ونسبًا، حيث ارتبط بالطبقة السفلى من المجتمع التي تعيش على هامش الحياة التي تشغلها لقمة العيش وداع الاسترزاق.

---

[1]- أبو الفرج الأصفهاني، " **الأغاني** "، عن المؤسسة الوطنية للفنون والطبع، وحدة الرغاية، الجزائر، ط2007، ص: 1077.

[2]- المرجع نفسه، ص: 1080.

[3]- المرجع نفسه، ص: 1081.

[4]- خليل شرف الدين، " **أبو العتاهية بين الرفض والقبول** "، عن مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1987، ص: 15.

وتلك الظروف المريرة دفعت بأسرته إلى الرَّحيل من عين تمرة إلى الكوفة، بعد أَنْ ضاقت بهم سُبلْ العيش، فوجدوا بها ما وسَّع عليهم في معيشتهم، حيث اشتغلوا بحرفتهم القديمة، فكان زيد وأبو العتاهية يعملان بالفخار ويبيعونها، فانصهر أبو العتاهية وتأثر بالحياة الجديدة التي فرضت عليه محاكاة العقليات والأفكار والتَّوجهات السائرة.

ففي هذه الفترة الحسَّاسة من حياته، بدت على أبي العتاهية علامات النُّبوغ في نظم الشعر بالكوفة، حيث كان الشعر بها يومئذ ديوان الناس وموضوع أحاديثهم، حيث ما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروه، وعلى ما نقل الأصفهاني أَنَّ بدايات نظمه للشعر تعود إلى ما اقتضته الأقدار، إذْ "أَنَّ أبا العتاهية ذات يوم مَرَّ بفتيان جُلُوسٌ وهو يحمل قفص من الجرار يتذاكرون، فسلم عليهم ووضع القفص وقال : يا فتيان أراكم تتذاكرون الشعر فأقول شيء منه فتجيزونه، فإن فعلتم فلكم علي عشر دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؟"، فهَزِئوا منه وسخروا، وقالوا: "نعم لا بد أن نشتري بأحد القمارين رطبًا يؤكل، فإنه قمار حاصل". وجعل رهنه على يد أحدهم، ففعلوا فقال: أجيزوا ساكني الأجداث أنتم، وجعل بينه وبينهم وقتًا وعلامة في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت، وجب القمار عليهم، فلم يأتوا بشيء، فأخذ الدراهم، وجعل يهزأ منهم وتمم الشعر: فقال:[1]

سَاكِنَي الأَجْـدَاثِ أَنْتُـمُ مِثْلَنَـا بِـالأَمْـسِ كُنْتُـمُ
لَيـتَ شِعْرِي مَـا صَنَعْتُمُ اَرَبِـحْتُـمُ أَمْ خَـسِـرْتُـمْ

ومن هذا لقي شعره رحابة في صدور الفتيان، فأعجب به الفتيان وراحوا يتهافتون عليه.

وجاء في أوصافه أنه كان دقيق العظم قليل اللحم، أبيض اللون أسود الشعر، له هيئة حسنة ولباقة وحصافة، اتصل العتاهية بخلفاء بن العباس بعد عودته من بغداد، بدعوة من زميله إبراهيم الموصلي الذي قَدمَّه إلى الخليفة المهدي الذي حكم ما بين (157-169هـ)، الذي قربه منه فأكرمه وأجزل له العطاء...، إلى أَنْ جَرى معه ما جرى في قصته مع عتبة...فكلَّفه السجن إلى أن شفع له يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فأطلق سراحه.

[1] أبو الفرج الأصفهاني، " **الأغاني** "، مرجع سابق، ص: 1126.

ثم اتصل بالهادي بعد وفاة المهدي (169-180هـ)، فأجزل له العطاء وأكرم وفادته وأثنى على شعره، ثم جلس إلى الرشيد (180-193هـ)، حيث كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد في حضر أو سفر، فكان يجري عليه خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاوين.

2. مـذهـبـه:

سلك أبو العتاهية مذهبًا غير واضح المعالم، حيث قال صاحب الأغاني: "كان العتاهية مذبذبًا في مذهبه، يعتقد بالشيء حتى إذا سمع طاعنًا عليه ترك معتقده وسلك غيره".[1]

فكان يقول بالتوحيد وأَنَّ الله خلق العالم من جوهرين متضادين لا من شيء، ثم أَنَّه بنى العالم هذه البنية منهما، والعالم حَديث التعيين والصفة لا محدث له إلا الله، ويرى أَنَّ الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين قبل أَنْ تفنى الأعيان جميعًا.

وقد أثبت القول بالتوحيد في كثير من أشعاره بأَنَّ لله الوحدانية في عبادته والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، والكف عن معصيته وجحود نعمته، وأَنَّ كل شيء له آية تدل على تفرُّده ووحدانيته، حيث قال في أحد معارضيه من هذا الباب بعد تمسك ورجعته:[2]

فَيَا عَجَبَا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَـ ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهْ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

وكان يذهب كذلك مذهب الإجبار، ولا يقول بخلق القرآن، إذ سئل مرة عن رأيه في القرآن فقيل له: "القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال لسائله: أسألتني عن الله أم عن غير الله؟ فقال له: سألتك عن غيره الله، فأمسك".[3]

---

[1]- أبو الفرج الأصفهاني، " **الأغاني** "، مرجع سابق، ص:1084.

[2]- ديوان أبو العتاهية، مرجع سابق، ص:74.

[3]- أبو الفرج الأصفهاني، " **الأغاني** "، مرجع سابق، ص:1085.

كما صبغ مذهبه بروح الفلسفة لِمَا اقتضاه الوقت، لأن الحياة العباسية إلى ذلك الحين تأثرت بالحضارات والفلسفات المختلفة، كالحضارة الفارسية والهندسية واليونانية، وعَلَّ أبرز شاهد من ذلك قوله في علي بن ثابت، الذي ساق معانيه من مرثيات الفلاسفة اليونان في الإسكندر:[1]

بَكَيْتُكَ يَا عَلِّي بِدَمْعِ عِيْنِـي فَمَا أَغْنَى اَلبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْاَ
كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثَـمَّ إِنِّـي نَفَضَتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عَظَات فَأَنْتَ اليَـوْمَ أُوعِظ مِنْكَ حَيَا

وكان أهل عصره ينسبونه إلى التَّمذهُبِ بأقوالِ الفلاسفة مِمَّنْ لا يؤمنون بالبعث ويحتجون بأَنَّ شعره كان قصرًا على ذكر الموت والفناء دون ذكر البعث والنشور، وهو ما كذَّبه نظمه، إذ أثر عنه القَوْلَ بالجنة والنار بعد البعث في زهدياته، فالعتاهية من ذلك أخذ بنصيب وافرٍ من الفلسفة، حيث قضى سواد شبابه بالكوفة والحيرة، فبغداد التي كانت في ذلك الوقت عاصمة الفكر والفلسفة.

3. علاقـته بـالنسـاء:

إن واقع الحياة والظروف الخاصة التي نشأ بها العتاهية، دفعت به أَنْ سلك طَرِيقَ ونَهْجَ المجَّان، العَلُوقَ بالنِّساء الحِسَانْ، بالتعرض لَهُنَّ بالشعر والتَّغزُّلِ بجمالهن ومحاسنهن، وما حفظ التاريخ والأخبار لأبي العتاهية حَظَّهَ من النساء في حياته العاطفية والأدبية على حَدٍّ السواء، سِوَى ما كان من إمراتين مثَّلتَا مدار حياته بوجهيها –العاطفية والأدبية– وكانتا من الجواري.

فالأولى كانت تُدْعَى **سعدى** من الحيرة، صادفته الأقدار بها حال عودته من بغداد، فكان من حسنها أَنْ شغف بها العتاهية، فتعرض لها في غزلياته، وحكى منها أبيات –عبَّرت عن عمق حبه وهيامه بها.[2]

غير أَنَّ الأقدار حالت دون مُنَاهْ، إِذْ كان عبد الله بن معن بن زائدة واقعٌ في هواها وكانت مَولاةً تحتهم، فنهره ونهان من التَّعرُّض لها، غير أَنَّ الهوى الذي كان يَسُوسُ العتاهية كغيره من المجان، لم يمنعه من ذلك، فقام يقول في استخفافٍ وازدراءٍ هاجٍ بمعن:[3]

---

[1]– ديوان أبو العتاهية، مرجع سابق، ص:292.

[2]– نظر الأصفهاني،" **الأغاني** "، مرجع سابق، ص:1102.

[3]– المرجع نفسه، ص:1103.

أَلَا قُلْ لِابْنِ مَعْنٍ ذَا الَّذِي فِي الوَأْدِ قَدْ حَالَا
لَقَدْ بَلَغْتَ مَا قَالَ فَمَا يَا لَيْتَ مَا قَالَا
وَلَوْ كَانْ مِنْ الأَسَدِ لَمَا صَالَ وَلَا هَالَ
فَصَعْ مَا كُنْتَ حَلَّيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خِلْخَالَا
وَمَا تَصْنَعْ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا
وَلَوْ مَدَّ إِلَى أُذْنَيْـ ـهِ كَفَّيه لَمَا نَالَ
قَصِيْرُ الطُّوْلِ والطَّيْلَـ ـةِ لَا شَبَ وَلَا طَالَ
أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالًا وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالًا

فكلَّفه ذلك أَنْ حَمَلَ عليه ابن معن فأنزل به العقاب فضربه مآئة، ولم يَنْحَلْ عنه إلا بوساطة من مواليه من عنزة.

أما صاحبته الثانية كانت جارية المهدي الحسناء **عتبة**، التي لم يكن حبه لها صادقا في حداثة أمره، إذ كان يهدف من تغنيه وتعريضه بها في أشعاره اكتساب الشهرة، بلفت انتباه الخليفة حوله، لما كان لحديث الجمال والغزليات من المكان عند المهدي، وميله ذاك أَغْرى العتاهية فمضى في غزلياته[1]، فكان يضرب بِنَرْدِ الحظِّ ليرتقي مرتقًا كبير يَتَدَافَعَهُ السَّعْيَ لتغيير واقعه الاجتماعي المتدنِّي، وتحقيق ذلك لا يتأتَّى إلا بالسَّيْرِ على خُطَى الغزليات.

ومع الأيام شاءت الأقدار أَنْ طَافَ بساحته دَاعِي الحب والصَّبوة إلى عُتَّابة، فهام بها وشغف بها حبًا، بعد أَنْ فتحت له الدُّنيا ذِرَاعَيْها بدخوله حياة القُصُوْرْ ومزاحمة النُّبلاء وأصحاب الجاه موائدهم ومجالسهم، فحظت منه بوافرٍ من حياته العاطفية والأدبية، فقصر سواد غزلياته تشبيبًا بها، يُحَدِّث من جمالها وحسنها، ويحكي من تَمَنُّعِهَا وصدَّها وإعراضها عنه، فمن روائع ما قال[2]:

كَـأَنَّهَا مِـنْ حُسْنِهَا درة أَخْرَجَهَا اَلْيَمُ إِلَى السَّاحِلْ
كَأَنَّ فِي فِيْهَا وَفِي طَرْفِهَا سَوَاحِرًا أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلْ

[1]- ينظر: مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، " **أسطورة الزهد عند أبي العتاهية** "، عن دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، مصر، دون تاريخ طبع، ص:21.

[2]- شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول** "، مرجع سابق، ص:248.

لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّهَا مَا خَلَا حَشَاشَةِ فِي بَدَنِ نَاحِلْ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ عَلَى القَاتِلْ

فمن فرط حبه لها صور منها صورة السَّجَّانْ الذي يأسر القلوب، فوصدت عليه الأبواب ومنعت حريته فهي سارقة قلبه تمنعت رد عليه حريته.

ليبقى من هذا أَنَّ عتبة ما بادلته العاطفة بقدر ما أفضى به العتاهية من صدق العواطف إزاءها في قصائده، إذ عرَّضَ بها وشبب تشبيب المجانين قبله وبعده، ممن درجوا وركبوا قوارب الهيام بالنساء والغانيات...،إذ شَكَتْهُ للخليفة المهدي الذي نهره وسجنه، كردة طبيعية تنتاب كل غيور على حرمته وحِمَاهْ، لِتُرَدَّ عليه حريته بعد أَنْ توسَّط له يزيد بن منصور الحميري عند المهدي، فعفا عنه وأطلق سراحه.

هذا وإِنْ كانت عتبة قد ألقت إلى العتاهية بِحِبَالِ الوِصَالِ والأملْ، لا حبًا ورغبة على ما أسلفنا، بل سبيلا لتحقيق أمالها، أَنْ تغدو صاحبة الشأن في القصر، إذ في بدايات أمرها وهبته قدرًا من المال ليشتري لنفسه ثيابًا...ودابة يتجوَّل عليها كما يفعل غيره من الشعراء المعترف بهم[1]، واهتمامها الذي عقد عليه العتاهية الآمال، كان استجابةً لمطامحها.

ولا يتأَتَّى ذلك إلا من خلال إثارةِ ضجةٍ حولها، فتُشَدْ وتُلْفِتْ نحوها الأنظار والأذهان، ولا سبيل لذلك إلا بكلمات شاعر مغمور كأبي العتاهية، فيجعل منها مَثَارَ الحديث والاهتمام، بتغنِّيه بها في قصائده ومقطوعاته وكلمة من العتاهية كافية حقا لتحقيق ذلك، ولا أدل على ذلك من قوله الذي يجعل من الوضيعة ذات شَأنْ[2]:

كَأَنَّ عُتَابَة مِنْ حُسْنِهَا دَمْيَةُ قِسٍ فَتَنَتْ قِسَّـــهَا
يَا رِبِ لَوْ أَنْسَيْتَنِيهَا بِمَا فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لَمْ أَنْسَهَا

[1]- ينظر: مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، " **أسطورة الزهد عند أبي العتاهية** "، مرجع السابق، ص:21

[2]- الأصفهاني، " **الأغاني** "، مرجع سابق، ص:1130.

فكيف بمن ساوم فيها مجنونها بِمثْل ما قاله العتاهية أنْ تغدو بمكانة الخيزورانه* من قصر المهدي، إذ صورها العتاهية بقوة حسنها، ورفع من قدرها تُنَازِعُ جواري الجنان قلوب الرجال عنهن من حسنها، وجمالهن ما حكاه الله في كتابه وما هو به عليم، فكيف بمن فاقت، وهذا وإنْ كان تصويره ضرب من الخيال البعيد الذي تشفع له الشاعرية والتصوير الشعري، وإلاَ فهي مبالغة ومَحَادَةٌ عن الجادة، كل ذلك لِمَا بلغ به الهيام والحب بعتبة.

فالعتاهية من فُرْطِ عتهه نظر بضيقٍ لِصَنِيْعِهَا أَنَّه تشجيعٌ صريح له، بمواصلة حبه وهو ما كانت تسعى إليه " إذ كانت كُلَّمَا طغت عواطفه وأوشك أَنْ يُجَاوِزَ الحدود التي رسمتها...تظاهرت بالفتور وعدم الاهتمام...، حتى إذا بلغ منه اليأس مبلغه، وأوشك أَنْ يريح نفسه من تلك المغامرة القاسية أبدت له الاهتمام..."[1] ، فكان ذلك طمعًا يدفع بمواصلة السير لمبتغاها، التَّغَنِي بها وبسحرها في قصائد أَخْرَى.

فظلت بذلك حياته كساعي وراء سراب، يَأْمَلُ بلوغه بما يَتَرَاءَ له من تباشيره لتحقيقه، والواقع أبى خِلَافَ ذلك، ونَأَ بوجهه عن كل طَالبِ، فعاش العتاهية في تعاسة وعذاب تَتَأَكَلَهُ نوبات الصَّدِ والجفاء ونفحات الأمل التي كانت تبعث بها فتاة أيامه، فقال يحكي حاله:[2]

كَمْ مِنْ دُيُونٍ وَالله يَعْلَمُـهَا لَنَا عَلَيْهَا لَمْ تَقْضِ إِذَ وَجَبَتْ
مَا وَهَبَتْ لِيْ مِنْ فَضْلِهَا عِدَّةْ إِلَّا إِسْتَرَدَّتْ جَمِيْعَ مَا وَهَبَتْ
فَأَيُّ خَيْرٍ وَأَيُّ مَنْفَـعَةٍ لِذَاتِ دَلٍّ تُرِيْقُ مَا حَلَبَتْ؟

بل وابتعد ببكاء قلبه من جفائها وإعراضها وصدِّها لِمَا تُمَنِّيه به حيث قال:[3]

بَخِلَتْ عَلَيَّ بِودِّهَا وَصَفَائِهَا وَمَنَحْتُهَا وِدِّي وَمَحْضَ صَفَائِي
فَتَخَالَفَ الأَهْوَاءُ فِيْمَا بَيْنَنَا وَالْمَوْتُ عِنْدَ تَخَالُفِ الْأَهْوَاءِ

* الخيزورانة هي من جواري المهدي لقيت رافعة في القصر، حتى غدت وصيفة للقصر تنازع الملكة شؤون القصر.

[1] – مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، " **أسطورة الزهد عند أبي العتاهية** "، مرجع سابق، ص:23.

[2] – المرجع نفسه، ص:25.

[3] – المرجع نفسه، ص:26.

فظل قلبه معلق مُتيَّم بها، إلى أنْ دَسَّ من يُكلِّم المهدي بأمر زواجه من معبودته يُغنِّيه فيها، إلاَّ أنه لم يَصِلْ من ذاك لِشَيءْ، إذ قابلت عُتَّابة طلبه بالرفض والازدراء، فلم يجن من حبها سوى الانكسار والانكفاء على النفس.

ثانيًا: زهد أبو العتاهية:

1. لمحة عن زهـــده:

قبل أَنْ يسلك العتاهية منهج الزَّهادة والتَّنسُّك، دَرَجَ مدارج اللهو والمجون، وتغنَّى بألوانه في أشعاره كغيره من شعراء عصره، شأنه شأن المقبلين على الحياة الذين لا يجري على ألسنتهم الإِكْتِرَاثُ بهادم اللَّذاتْ، وذكر أيام الحساب والعقاب وحديث المآل من جنة أو النار، بل آمالهم في حياة يسودها اللهو والإقبال على الشهوات.

فظلَّ بذلك أبو العتاهية يَحْيَا لِلَّهْوِ والقصف زمنًا...،إلى أَنْ عرَّجت ببابه سحابة الرَّجْعة والأَوْبةِ، فمثلت سنة 180هـ منعطفًا آخر من حياته، حيث مَالَ بنفسه إلى الزَّهادة والتَّقشف ولَبِسَ الصُّوف والتنسك[1]، وامتنع من قول الشعر والغزليات، فضربه الرشيد وأمر بحبسه حتى يعود لسابق أيامه التي كان يضع له فيها رقائق النَّسِيْبِ والغزل، فشفع لنفسه بما قال:[2]

إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ وَسَلَامَةٌ زَادَكَ اَللهُ غِبْطَةً وَكَرَامَة

لَوْ تَوَجَّعْتَ لِي فَرَوَّحْتَ عَنِّي رَوَّحَ اَللهُ عَنْكَ يَوْمَ اَلْقِيَامَة

فَرَقَّ له الرشيد وأخْلاه، فلزم بيته، وانقطع يحجم الناس من الفقراء والمحاويج، وقَصَرَه شعره على ذكر الموت وأهوال القبر والازدراء بالدنيا، والتي كان يسعى بها الوَعْظَ والأخذ بأيدي الناس وحَمْلِهِمْ على الخروج من الغفلة والتِّيْهِ في مراتع الخلاعة والمجون، ومن ذلك قوله:[3]

وَأَمنْتَهَا عَجَبًا فَكَيْفَ أَمِنْتَهَا؟

وَخَدَعْتَ بِالهَوَى وَفِتْنَتَهَا

[1]- ينظر: شوقي ضيف-تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول-مرجع سابق، ص:240.

[2]- أبن قتيبة-الشعر والشعراء-(عن صادر للطباعة-بيروت، لبنان-دون تاريخ طبع)،ص:198.

[3]- ديوان أبي العتاهية-مصدر سابق، ص:102.

وقوله في الموت:[1]

أَيَا هَادِمَ اَللَّذَاتْ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ تُحَاذِرُ نَفْسِي مِنْكَ سَيُصِـيْبُـهَا
فَكَمْ ثُمَّ مُسْتَرْجَـعٍ مُتَرَجِّـعِ وَبَاكِيَةً يَعْلُو عَلَيَّ نَـحْيِبُـهَا
وَدَاعِيَةَ حَرِيْ تُنَادِي، وَإِنَّـي لَفِي غَفْلَةٍ عَنْ صَوْتِهَا مَا أُجِيْبُهَا
رَأَيْتُ المَنَايَا قُسِّمَتْ بَيْنَ أَنْفُسٍ وَنَفْسِي سَيَأْتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيْبُهَا

وغيرها من المقطوعات الوعظية الزاهدة التي جعلت منه رائدًا لهذا اللون الشعري، لا يبلغ منه أحد ما بلغه، إذ شغلت زهدياته لِعُمْقِ أثرها وكبير معانيها حيزًا كبير من ساحات الوعظ والإرشاد التي يَصْدُرُهَا النُّسَّاكْ والوُّعَّاظْ*، يجعلون منها مرجعية يستشهدون بها في خطبهم وأحاديثهم، فتجد أثرها في النفوس، بِالأَخَصْ أحاديثه عن الموت الذي قصر عليه سواد زهدياته، فَتُكْسَرْ به القلوب وتقمع به الشهوات.

ليبقى من ذلك أَنَّ تَحَوُّلَهُ الجذري من الخلاعة والمجون إلى رَحَابَةِ الحديث في الروحانيات والتَّنسُّكْ، الذي طبع الوجه الثاني من حياته، حياة الزهد والتنسك والرَّجعة، فتح باب جدلٍ ولغطٍ كبير تَرَامَتْ رجعته الشُّكُوكَ والغمز، بين مُسَلِّمٍ بصدق أَوْبَتِهِ وتَنَسُّكَهُ، وبين ذاهبٍ مذهب الغمز والتَّشْكِيْكِ في حسن وصدق عودته، تقول الفاخوري: "لا يزال زهد أبي العتاهية منذ أيام الشاعر حتى اليوم موضع ريبة تضاربت حول الآراء...بين قائل أنه مصنوع مفتعل، وقائل أنه خالص صادق..."[2].

وعَلَّ الاستبانة من هاته، لا يَتَأَتَّى إلاَّ من خلال الوقف بالأسباب الحقيقية التي دفعت بشاعرنا المغمور التي شغلت زهدياته العقول وكسرت كل كبير إلى حياة الزهادة والنظم فيها، ومن تلك التَّالِية يتجلى مِنْظَارُ الحكم الذي يعكس الحقيقة.

---

[1]- المرجع السابق، ص:60.

* يتقلدنها ويقدمونها في وعظهم وإرشاداته تبعا لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ ومن أيام الله اليوم الأخر.

[2]- حنا الفاخوري، " تاريخ الأدب العربي "، مكتبة دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص:422.

2. دواعي وأسباب تزهـده:

أ- العامل الفطري:

ومثَّلَ هذا الجانب الكِبَرْ وتَقدُّم السِّنْ، ويجسد تباشيره وشِيَّاته وَهَنُ العَظْمَ والمشيب، وهو أثرٌ عظيم لِمَا له ورموزه من نذيرٍ بدنو الآجال، وعَلُوقِ النفس أكثرَ بهاجس الموت والوُفُلْ والتَّولِّي، وهو من الفطرة التي جُبِلَتْ عليها النفس.

فالعتاهية لما بلغ الخمسين من عمره أَحَسَّ بنذيرِ الموت، فترك المَنَادَمةَ واللهو و حياة المجون وقطع سُبُلَهَا، ومَالَ إلى التَّنَسُّكْ والزُّهْدَ ليكفِّر عَمَّا فاته في شبابه من الخير، فانقطع للحجامة وأخلص لسانه للزهد والوعظ، فأكثر من ذكر الموت وناعيه (المشيب)، حسرة على تَولِّي زمن الشباب، وتَعَاجُلْ أيام الرَّحيل، حيث يقول:[1]

أَرَى الـمَـرْءَ تُعْـجِبُهُ نَفْسُـهُ فَأَعْجَبُ وَالأَمْرُ عِنْدِي عَجِيْبٌ
أَلاَ يُعْجِبُ المَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ إِذَا نَـعَاهَـا إِلَـيْهْ الـمَـشِـيْبُ

صَوَّر بهذا العتاهية حديث النفس بواطنها وما ينتابها من الحيرة إزاء نذير الرحيل وتَعَاجُلْ أيام المرء نحو الموت، فالعجب في الغفلة عن هذا الوعي، تنغمس عنه النفس لاهيةً رغم تَدَانِيْهِ، فما يكفي المرء من النصح المشيب.

فالعتاهية في أشعاره قد أكثر على ما أسلفنا من ذكر الموت وناعيه، والمتتبع لقصائده ليجد أن المشيب حظى بجانب كبير من وعظياته، إذ هو دليل العجز والضعف، فَتَمثَّل بذلك ما تواطأت عليه العرب قديمًا من أَنَّ المشيب عنوان الموت، فمن هذا نجد أَنَّ العتاهية استجاب لهذا الداعي وأذعن له ونزل عند إملاءاته.

ب- تأثره بالفلسفة والعقائد:

في هذا الباب نجد أبا العتاهية جمع ثقافته من السَّماع والمعَايشة لأجواء المجتمع العباسي، الذي اختلطت فيه الثقافات والتيارات الفكرية المتَنَوِّعَةَ المَنَاهِلْ والمشَارِبْ، فكان لها أثرٌ بالغٌ في نفسه وبناء شخصيته، حيث كان ينحو إلى حد كبير منحى المانوية التي جمعت شتاتًا من عقائد الزردشتية والنصرانية

[1] - ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:33.

والبوذية...،ولم يكن العتاهية مانويًا خالصاً وإنما كان على نمط جديد، يجمع بين المانوية والإسلام*، بالإضافة إلى ما أفاده من قراءاته للفلسفة والفكر اليوناني، فكان لهاته العوامل أثر على نفسه ، مالت به إلى الانكفاء والتنسك[1]، هذا فضلاً على الثقافة الاسلامية التي مبدؤها الأساس قائم على النزعة الزُّهدية، فكان لها هي الأخرى عَمَلُهَا في نفسية الشاعر خاصةً لَمَّا أَحَسَّ بِالكِبَرْ ودَقَّ بابه الناعي.

فتجلت كل تلك الآثار في مقطوعاته التي نظمها في فن الزهد، وقد تناص وتقاطع في الأفكار بينه وبين فلاسفة اليونان في مراثيهم ، أما عن المانوية فيتجلى أثرها في شخصيته فيما أثر عنه من أقوال وأفعال، فالعتاهية كان يَتقلَّد المانويين في جانب من حياته، بِأَنْ كان يعيش على أموال غيره يتقلَّبِ على موائدهم وخُوانِهِمْ، فلا يُسْأَلْ وهم يسألون، فصاحب الأغاني نقل العديد من تلك الطَّرائف الحاكية عن خلقه، فجمع بذلك بين حب الدنيا والتَّزهُّدِ فيها، وهذا في رأينا لا يقدح في زهده لاعتبارات نأتي على ذكرها في حينها، فمن ذلك قوله:[2]

تَزَهَّدْتُ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي لَرَاغِبٌ أَرَى رَغْبَتِي مَمْزُوجَةً بِزَهَادَتِي
وَعَوَّدْتُ نَفْسِي عَادَةً فَلَزِمْتُهَا أَرَاهْ عَظِيْمًا أَنْ أُفَارِقُ عَادَتِي

أما عن فعل الثقافة الإسلامية وأثرها في شخص العتاهية كثيرة، جسدتها أشعاره بوضوح مثلتها اقتباساته الكثيرة من معاني وألفاظ القرآن والنصوص النبوية، والتي سنأتي على التفصيل فيها في موضع حديثنا عن مَنَاهِلْ وموارد زهدياته.

جـ- فشله في حياته العاطفية:

هي قَاسِمَةُ الظَّهْرِ، والَعظِيمة التي غيَّرت كثيرًا من مسار حياته، حيث فشل العتاهية في تحقيق حلمه بزواجه من عتبة جارية المهدي، التي ما لقي منها إلا قَسْوَةً وازْدِرَاءً واحتقارًا، رغم ما لقي في سبيلها من مِحَنْ الضَّرْبِ والشَّتْمِ والسجن والغمز من معاصريه، وسعى بسواد غزلياته وقفا عليها، تَشْبِيْبًا وتحبُّبا ووصفًا لكل جميلٍ

* يتجلى ذلك في أشعاره حيث تكلم عن النور والظلام الذي كلمت منه المانوية، إذ ترى أن الله خلق الكون منهما، وحدث عن الجنة والنار وهي رؤية إسلامية لا ترى بها المانوية.

[1]- ينظر: شوقي ضيف،" **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول** "، مرجع سابق، ص:243.

[2]- ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:54.

فيها وقصرًا لكل شَائِنْ، وسعى كثيرًا في تلميحاتٍ وأقوال صريحة طَلَبًا لمراده، فلم يجد من ذاك إلاَّ جريًا وراء سراب لا لشيء إلا لوضاعة قدره وشأنه فانكفاء إلى نفسه.

د- خلافه مع والبة بن حباب:

علَّ هذا العامل من أَبْرَزْ العوامل التي حملت العتاهية إلى القعود عن اللهو والمجون، والأخذ بطريق الزَّهَادة والتَّنسُّك، وذكرنا في غير هذا الموضع من حديثنا عن أخبار العتاهية، أَنَّ قدر العتاهية في بدايات حياته حَمَلَ زمالة المخنثين الذين أخذوا من اللهو والمجون كل عَظِيْمٍ وحبيب إلى نفوسهم، الذين التقاهم العتاهية ببغداد، فَاخْتَلَطَ بهم وأخذ يُعَبؤ معهم كؤوس الخمر واللهو في دور القِيَانِ والمِجَانَة، فكانوا يَحْيَوْنَ إلى وئامٍ كبير، إلى أَنْ فسد الأمر بينه وبين والبة فتراشقا بالقول والسِّبَابْ، يُصْلِ كُلَّ منها الآخر بِسِهَامِ الهجاء.

فكان من الطبيعي أَنْ يفترقا بعدما فسد أمر مَجْمَعِهِمَا، فأخذ العتاهية مسارًا مُخَالِفًا لِمَا كان عليه، حيث حبس نفسه عن تعاطي اللهو وأدواته وعكف إلى الزهد، يعو كلامه من مواده وموضوعاته، فخلافه مع والبة كان من الكَبيرِ في تَحَوُّلِهِ وميله إلى الزَّهَادَةِ خلافًا لِمَنْ يرى دون ذلك، بأَنْ كل خلافه من والبة ليس له أثرٌ في سِرِّ تحوله*، إذ في رأينا أَنَّ الزَّمالة من أَكْبَرِ العوامل الصانعة لشخص الإنسان، فما الإِعْوِجَاجُ عن الجَادَّة والاستقامة عليها إلا عائدة لأثرها، لذلك قيل:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِيْنِهِ إِنَّ القَرِيْنَ بَالمُقَارَنِ يَقْتَـدِي

فالزَّمالة التي لازمها العتاهية في بدايات حياته، وجعلت منه رجلا يعيش لشهواته ونزواته، ولَمَّا تنسَّك عَدَلَ عن زمالة السوء وعكف إلى زهدياته، فَصُنِعَ بذلك العتاهية النَّاسِكْ الميَّال إلى الزَّهادة، ليبقى من ذاك ما قيل عن ضعف توجهه له من الحقيقة ما تبرره.

إذ للوضع فِعْلُه، وميله بعد الخِلَافِ إلى الزهد له جانبٌ في تلك الأسطورة من زهده، فما كان لِنُدَمَائِه أَنْ يطيب لهم تحول كبيرٍ فيهم إلى غير ما هم عليهْ، فراحوا فيه بالوضع تنقيصًا لشخصه وَحَطًّا من قَدْرِه، وفي ذلك قال والبة:[1]

---

*- هو رأى لخليل شرف الدين، أورده في كتابه الموسوعة الأدبية الميسرة-أبو العتاهية.

[1]- الأصفهاني، مصدر سابق، ص:1087.

كَانَ فِيْنَا يُكَنَّى أَبَا إِسْحَاقْ وَبِهَا الرَّكْبُ سَارَ فِي الآفَاقْ
فَتَكَنَّى مُعْتَوْتَهَا بِعَتَـــاهْ يَا لَهَا مِنْ كُنْيَةٍ أَتَتْ بِالإِتِّفَاقْ
خَلَقَ اللهُ لِحْيَةً لَكَ لاَ تَنْـــفَكُّ مَعْقُودَةً بِدَاءِ الحَلَّاقْ

هي أبيات شاهدة لِتسخُّط ندمائه لِمَا جَرَى إليه العتاهية من الرَّجْعَةِ والتَّولِّي، بعد أَنْ قضى كثيرًا من قصف اللهو والمجون.

3. حقيقة زهـده:

ومن خلال استعراضنا لأسباب التي أَدَّتْ إلى تَزَهُّدِهِ، نلخص إلى أَنَّ زهد أبا العتاهية مبنيًا على دواعي قوية ليس باليسيرة، بالإمْكَانِ أَنْ تُغَيِّر مِنْ حياة أي فرد خَضَعَ لِمِثْلِ التجربة التي عاشها أبو العتاهية، بالأخص ما ارتبط بداعِ الفطرة الذي لا يُكَابِر عنه أي شخص ولا يُنَازِعُ اَملاءاته وأثره في النفس احد.

كما أَنَّ النَّاظِر لآثاره الشعرية يجدها صادرة من نفس صادقة عايشت النُّزُوعَ لداع الدين الإسلامي، الذي يُمَلِّي على أتباعه للتمسك بِسُبُلِ التقوى والإعراض عن الدنيا، وترك التَّباهِي إلا في تقوى الله عز وجل، تبعًا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**... ﴾ [سورة الحجرات، الآية13].

وهو ما تَمَثَّله العتاهية لَمَّا ردَّ على من فاخره في نسبه يزدريه ويتنقَّص من توجهه، وأَنَّ المفاخرة الحَقْ في التقوى والزهد حيث قال:[1]

دَعْنِي مِنْ ذِكْـرِ أَبٍ وَجَـدٍ وَنَسَبٍ يُعْلِيْكَ نَسَبَ المَجْدِ
مَا الفَخْرُ إِلاَّ فِي التُّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةً تُعْطِي جِنَانَ الخُلْدِ
لاَبُـدَّ مِنْ وُرُدٍ لِأَهْـلِ الـوِرْدِ إِمَّا إِلَـى ضَحـلٍ وَإِمَّـا عَـدَ

فظل بذلك أبو العتاهية نحوًا من ثلاثين عاما من حياته تتدفق من أنْفاسِه الصادقة ألواناً من الأشعار الزاهدة، وذلك بتغنّيه بالكأس الخالدة، كأس الموت الدائرة على الخلق، إذ كُلٌ إلى الفناء والكُلُّ وَشِيْكُ الزَّوَالِ، والكُلُّ سيصير تُراباً من تُرابِ، فَاسْتطَاعَ من خلاله أَنْ يأسر بها قلوب سامعيه، ولَقِيَتْ أشعاره تَجاوبًا

[1]- المرجع السابق، ص:1083.

من الناس بتنقله من التّيه إلى الاستقامة، وهو ما يؤكد صدق منبعها، وقد نقلت الأخبار الكثير من هاته المواقف.

فمرة طلب الرشيد من أبي العتاهية أنْ يعظه، فتردَّد وقال: أخافك، فقال له الرشيد: أنت آمن، فأنشده بسينيته فأبكاه حتى اخضلَّت لحيته بالدموع والتي قال منها:[1]

أَفِي شَبَابِكَ كَرُّ الطَّرْفِ وَالنَّفَسَ فَالمَوْتُ مُقْتَرِبُ والدَّهْرُ ذُو خِلَسِ
لاَ تَأْمَنِ المَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفَسٍ وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالحُجَّابِ وَالحَرَسِ
فَمَا تَزَالُ سِهَامُ المَوْتِ نَافِذَةً فِي جَنْبِ مُدَرَّعٍ مَنْهَا وَمُتَرَّسِ
أَرَاكَ بِوَقَّافٍ وَلَا حَذِرٍ كَا لحَاطِبِ الخَابِطُ الأَعْوَاءِ فِي الغَلَسِ
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةِ لَا تَجْرِي عَلى اليَبَسِ

ومثله ما حصل مع المأمون لَمَّا طلب أَنْ ينشده أفضل ما قال في الموت فأبكاه لما قال:[2]

أَنْسَاكَ مُحَيَّاكَ المَمَاتَ فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا النَّبَاتَ

فهي أبيات نابعة عن تجربة ومعايشةٍ لِمَا نطق به لسانه، فقوله: ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها، من وعظه للرشيد، وحدها كافية لتعبّر عن صديق المنبع والنفس التي انبثقت عنها تلك الكلمات، إذ كيف لِمَنْ عرف طريق ومسلك النَّجاة أَنْ يَسْلُكَ غيرها، بالتالي التشكيك لابد يعود لخلفية غطَّاهَا الزَّمَنْ، دفعت بأبي العتاهية إلى مخالفة بعضٍ من سمات وشِيَّاتِ الزُّهد، بالأَخَصْ ما جَاء في أخباره ما يزكي صدق توجُّهه.

ومنها ماحكاها عن نفسه لَمَّا سأله أبو سلمة الغنوي عن دَاع تحوله من الغزليات إلى الزهديات، فردَّ بقوله: "...إني لما قلت أشكو من عتبة صدها وتمنُّعها:

اَللهُ بِيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَهْدَتْ لِي الصَّدَّ والمَلَالَاتِي
مَنَحْتُهَا مُهْجَتِي وَخَالِصَتِي مَكَانَ هُجْرَانِهَا مَكَافَاتِي
هَيَّمَنِي حُبُّهَا وَصَيَّرَنِي أُحْدُوثَةً فِي جَمِيْعِ جَارَاتِي

[1] – مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص:219.
[2] – أبو الفرج الأصفهاني، مرجع سابق، ص:1131.

قال: فرأيت في المنام في تلك الليلة كأن اتيًا أتاني، فقال: ما أصبت أحدًا تُدْخِلَهُ بينك وبين عتبة، يحكم لله عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟، فانتهبت مذعورًا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل".[1]

فعكف العتاهية من ساعته النَّظْمَ في الوَعْظِ والزُّهْديات، والتي تنبعث ألفاظها ومعانيها من نفسٍ أذعنت لمولاها بالمِوَالَاةِ والرَّجْعة، أَكْسبتها القوة، شهد له بها معاصروه من الخاصة والعامة، شهادةً تَنِمُّ عن صدق المنبع الذي انبعثت منه، والشعر لا يَعْدُو أنْ يكون تعبيرًا عن مشاعرٍ صادقة، حكى صاحب الأغاني: "أنَّ هارون بن سعد مولى عياد، أنه حضر مجلسًا لأبي النواس، قال فيه من حضره: أنت أشعر الناس، فقال: أَمَا والشَّيْخُ حي، فَلَا وعنى بذلك العتاهية"[2]، فبهذا كان خَطُّة مِمَّنْ وقفوا منه موقفًا موضوعيًا، لا يسعون في أحكامهم الميْلَ نحو الذَّاتية وإنْ كان على حساب الذات، وهي واحدة من كثيرِ الشَّهادات التي وضعت أبا العتاهية مَوْضِعَ الإكْبَار وإنْ دَلَّ هذا عن شيء في رأينا، لا يدل إلَّا على صدق مشاعر صاحبها.

ليبقى أنَّ للزمن ما غطاه من هاته المفارقة، وحَقَّ صدق البواطن تَمَثُّلَهَا في الظَّواهر، غير أنَّ من العسير ما يُغطِّي على هذا الطَّرحْ، ويجعل في أثره الظاهر أمرًا غير يسير، خاصة إذا ارتبط الحال بالأعْرَاضْ، لذا علينا أَنْ ننظر في قراءة لشخصية شاعرنَا من جانب آخر، وهو العامل الاجتماعي وأثره في شخصيته، وهو ما أَغْفَلَهُ مَنْ حكم بزيف توجُّهه في جانب من حياته.

فالمجتمع الذي عايشه العتاهية كان له يَدٌ في صنع هذا الجانب من حياته، وخلق هاته الإشكالية فَقَدَرُ العتاهية وماضيه الأسود، أَنْ كان في صباه لا يَتَخَّيرْ له أصدقاء من خِيّار النَّاس، بل من خُلَاعَائِهِمْ وأراذلهم، ظلت وَسْمَةُ وهاجسًا يلاحقه ، حتى بعد ما مَالَ إلى الرَّزَانَةِ والجد بمسلكه سبيل الزهد والتَّنسُّكْ، فتلقاه معاصره بالغمز يتهمونه بتكلف الزهد ويتقولون عليه الأقاويل.[3]

فتلك قراءة من تتبعوا الحدث، تكشف عن الحقيقة الخفية وراء هذا التَّشكيك الذي في رأينا لم يبن على أَسَاسٍ موضوعي ساعٍ للحقيقة، فوسمة العار لا يمكن للمجتمع أنْ يتجاوزها أو يغفرها، بالتالي العتاهية كان ضحية لحكم غير قَوِيمْ، حُكِمَ عليه بماضيه السيء.

---

[1] – المرجع السابق، ص:1093.

[2] – المرجع نفسه، ص:1093.

[3] – ينظر: زكي مبارك، **التصوف الاسلامي في الادب والأخلاق**، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة د.ت ، ص:95.

وهي نظرة قاصرة لم تخضع لمعيار صحيح، إذْ أَنَّ الخطيئة والمعاصي لا تمنع الأَوْبَة والعودة...، أقرَّها في ذلك الحق تعالى في كتابه، حينما فتح باب رجائه للعائدين الأيبين إليه، حيث قال: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾[1] ، ونحن نجد في رأينا على ما أسلفنا أن أبا العتاهية قد حقق إجابة الداعي ساعة إجابته لمن هاتفه في منامه فثَابَ وعَادْ، كما يزكي مَثَابَةُ ما حكاه الأغاني من إعراضه عن طلبً حمداويةً صاحب الزنادقة، لَمَّا أراد به العودة، بمجاورتهم ومشراكتهم ومجالستهم، فتفزَّع لذلك، وقعد للحجامة وأعرض.[2]

ونجد في سياق من تلقوه بالغمز تشكيكًا في زهده، الكثير من أقوال وشواهد صانعي الحدث تطرح عنه الاتهام والرَّمي، سواءً من العتاهية أو من غيره ممن أجرواْ وصنعواْ ذلك الحدث، حيث نجد أنَّ لأبي العتاهية في غير موضعٍ استفهامات عريضة إزاء ما يلقاه من مجتمعه، التي لا يفسرها إلا جانب القسوة من قبل المجتمع، فمرة هرع إلى بيت "أسد النوشجاني" يشكو إليه مسألة، فقال: زعم الناس أني زنديدق..[3]، فهو فتح باب النَّكِرِ لِمَا رماه به الناس، ولم يتقبل تلك التهمة وردها على أصحابها، وهو ما يؤيد صدق توجهه، إذ أنكر الزندقة إنكارًا لمن رماه في زهده وشكك فيه.

وموقف آخر صنعه سلم الخاسر، حيث نجد له تهتكًا بعرض أبي العتاهية، حيث نظر إليه بمنظور الانتقاص والتشكيك في زهده، إذْ لَمَّا بلغه أنَّ أبا العتاهية قد نَسَكَ ولزم نهج الزهاد والنساك، قال يريد رميه بماضيه: "ويلي على المخنث الجرَّار الزنديق جمع الأموال وكزها وعبأ البدور* في بيته ثم تزهد مراءاةً ونفاقاً"[4]،هو حكم كما نرى لم يَتَحَرَّزْ فيه الموضوعية، بل مَثَّل جانبًا من رؤية المجتمع التي قضت بالماضي على المعَاشْ.

فمن خلال الأنموذجين السابقين نقف أمام قسوة حقيقة اتخذت من الماضي مرجعية وسندًا تتكأ عليه، وكلها- ومواقف أخرى-دفعت بأبي العتاهية إلى التَّبرُّءِ من مجتمعه، والثورة عليه والغضب في وجهه، ولا أَدَلَّ

---

[1]- سورة الزمر، الآية53

[2]- أبو الفرج الأصفهاني،مرجع سابق، ص:1085.

[3]- المرجع السابق، ص:1114.

* جمع بدرة، والبدرة صرة بها سبعين درهم من الذهب.

[4]- ابو الفرج الأصفهاني، مرجع سابق، ص:1154.

من ذلك قوله: حينما سأله رجل عَمَّا ينقشه على خاتمه، فقال: أنقش عليه لعنة الله على الناس[1]، فهو قَولُ يعكس حجم ما لقاه العتاهية من تَهَتُّكْ المجتمع بشخصه، والانتقاص من قدره، ليكون رَدُّهُ بألفاظَ عظيمة ينهي الشرع الحكيم عنها، غير أنه رَدَّ طبيعي كحلٍ أفضي إليه، لَيرُدَّ به على تلك المعاملة القاسية التي أَتَتْ على نَضَارَةَ وجهه وصدق توجُّهه ومشاعره، فَغَدَا بذلك العتاهية ناقمًا على الحياة لكبير أثر مجتمعه وتَجَنِّيهِ عليه، والتي لم يجد منها مؤنسًا ولا شفيعًا فيها غير خلوته ووحدته حيث قال:[2]

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوِحْدَة
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعُمْرُوهَا أَقَلَّهُمِ فِي حَاصِلِ الـعِدَّة

أما عَمَّا قيل عن بُخْلِهِ الذي حظى بنصيبٍ وافرٍ من هاته المفارقة، إذْ رماه معاصروه بالبخل والشُّحّ، حقيقة تضع العتاهية من تلك التالية مَحَطَّ الإتِّهامِ بزيف زهادته وتنسُّكه، إذْ البخل من الصفات الذميمة التي جاء الشارع ينهى عنها، وأمر بِمُجَانَبَتِهَا والابتعاد عنها، في غير ما آية ونص إذ هي من خِصَالِ أهل الدنيا وعبيدها الساعين لجمعها واللهث وراء حطامها الزائل، فهو قَدْحُ في خلق المرء يحط من قَدَرِ حياته الروحية في هاته الفانية، والأغاني حافلُ بكثيرٍ من القصص الطَّريفة القاطعة في بخل العتاهية وشحه.[3]

غير أنه لا يمكن التَّسليم بإملاءت تلك الرِّوايات التي جاءت تَحْكِيْنَا في بُخله، بل لابد لها من قراءة أخرى تَبْتَعِدْ عن ظاهرها والإِحْتِكَامِ إليها، والنَّظَرْ إليها من زاوية أخرى تَتَقَّرب بها الدواعي والأسباب التي حملت العتاهية إلى تَمَثُّل ذلك التَّصَرُّفْ الذي يقدح في زهده، فلو عدنا إلى الظروف والنشأة التي عاشها أبو العتاهية في أيام صباه، نجدها حياة مِلْؤُهَا الحِرمانُ والعِوَزْ، وهما من الكفاية أنْ يؤثرا في طبع الإنسان ويغيرا في سلوكه، بالأخص بعدما ابتسمت الدنيا في وجهه بعد حرمانٍ طويل.

فبعدما غادره هاجس الفق والحاجة، أقام في نفسه هاجس تَوَلِّيهِ والعودة إلى تلك الحياة البائسة، وهو ما أخبر به حاله لما سألهُ ثمانة بن أشرس: "...لِمَا تحبس عندك سبعًا وعشرين بدرة في دارك، ولا تأكل منها

[1]- المرجع انفسه، ص:1116.
[2]- المرجع نفسه، ص:1116.
[3]- يظر: الرجع السابق، ص: 1093-1094-1095.

ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدِّمها ذخرًا ليوم فقرك وفاقتك؟، فقال: يا أبا معن، والله إنَّ ما قلت له الحق، ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس"[1]، وفي ذلك قال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرَجَى لَهُ اَلْغِنَى وَأَنَّ اَلْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ اَلْفَقْرِ

فَظلَّ شبحه يطارده ويُنغِّص راحته طِوالَ حياته، يَتَدَافَعَه، للجمع والمنع، إنَّها الحاجة...،إنه الفقر الذي تَعوَّذ منه خير الخلق–صلى الله عليه وسلم–لا لشيء إلَا لِعَظِيْمِ أثره على النفس والحياة، إذ فيه تُكْسَرْ النفس ويذهب ماؤها، والعتاهية اكتوى بنيران الفقرة والحاجة كثيرا قبل مخالطته دُوْرَ الأمراء وأصحاب الجاه، تعرَّض للاحتقار والازدراء لفقره وصنعته المتواضعة.

فطبيعي أَنْ يكون منه هذا التَّصَرُّفْ في حرصه على المال وسعيه للحفاظ عليه، وهذا هو الوجه الأنسب الذي يُصْرَفُ إليه تَصَرُّفَهُ إزاءَ مَامَلَكْ، فصحيح هو شحْ لا يمار فيه اثنين لا تبرء به الذمة إلا بإخراج فرضه* ودفع لأصحابه، ليشفع له من جانب آخر ذلك التَّطاحُنْ النَّفْسِي الذي أخذ بلبابه في زمن لا يَحْيَاهُ إِلَّا مَنْ مَلَكْ، فمن ذلك لا يُقَالْ بزيف زهده لذلك العامل، ليُقَالَ في رأينا أَنَّ العتاهية لم يَكُنْ متوكل على الله حق التوكل وفي هذا خالف رِكَبَ الزُّهَادْ، لغلبة ذلك الصراع والهاجس الذي لزمه في حياته، وهو ما يعبِّر عن ضعف وازعه الديني، والناس من هذا درجات وألوان وأشكال.

ثالثًا: زهديات أبو العتاهية:

1. مواضيعها:

طرق أبو العتاهية في زهدياته عدة مواضيع، حاول من خلالها أن يعكس فيها تجاربه الزهدية التي عايشها في وجهه الثاني من حياته، والتي من بينها الآتي:

أ– ذم الدنيا:

ذم الدنيا من أهم الموضوعات التي تناولها العتاهية وأكثر القَوْلَ عنها في زهدياته، وكتب عنها العديد من القصائد والمقطوعات التي تُهوِّنْ من قدرها، وتُصغِّرُهَا في الأعين، وتكشف عن حقيقتها الزَّائفة، لأَنَّ ذم

[1] – المرجع نفسه، ص:1093.

* أي حق الزكاة التي فرضها الشرع الحنيف.

الدنيا هو الأَسَاسْ الذي ينبي عليه الزهد الديني ومُتَحَقَّقَهُ الأَسَاسْ، تبعًا لِمَا جاءت به العديد من النصوص الحاكية عن تلك التالية، منها قوله تعالى في مَعْرِضِ عِتَابٍ لنبيه-عليه الصلاة والسلام-وأصحابه: ﴿**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**﴾[1] ، فَذُّم الدنيا منه تنطلق وتعود إليه البَقِيَّةُ الباقية من عناصر وموضوعات الزهد، التي تحقق ماهيته وكنهه وتُكْبَحَ به شهوات وملذَّات النفس، لذا قيل:"لا يجوز أَنْ يُظْهِرَ للناس الزهد، والشهوات في قلبه، فإذا لم يبقى في قلبه شهوة من شهوات الدنيا، كان له أن يظهر الزهد".[2]

فمن ذلك لا قِوَامَ للزهد، إِلَّا بترك الدُّنيا والتَّوجه إلى طلب عرض الآخرة رغبة في نعيمها المقيم، والرغبة في الآخرة كما قال ابن القيم: "لا تتم إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين، نَظرُ في الدنيا بسرعة زوالها وفنائها وتَولِّي زخارفها، ونَظرُ إلى الآخرة بمجيئها وقدومها، فَيُعْرَفُ دوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسَرَّاتْ فيُبادر إليها ويُتَعاجَلُ العمل إليها".[3]

والعتاهية تَمَثَّل تلك المزية في زهدياته، حيث تناول الدنيا من الجوانب الدَّالة على قُصورِها وزَوال خيراتها، وأَنَّ النعيم فيها إِنْ طَالَ إلى زوالْ، فيقوم في زهدياته محذرًا من مغرياتها، ومن ذلك قوله:[4]

قَدْ رَأَيْتُ القُرُونَ قُبْلُ تَفَانَتْ دَرَسَتْ وانْقَضَتْ سَرِيعًا وَبَانَتْ
كَمْ أَنَاسٌ رَأَيْتُ أَكْرَمَتْ الدَّنْـ ـيَا بِبَعْضِ الغُرُورِ ثُمَّ أَهَانَتْ
كَمْ أُمُورٌ قَدْ كُنْتُ شَدَّدَتْ فِيْهَا ثَم هَوَّنَتْهَا عَلَيْكَ فَهَانَتْ

وقوله كذلك:[5]

لِلجَهْلَ بِالدُّنْيَا وَزَخَرِفِهَا إِنَّ الشَّقِي لِمَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ
كَأَنَّ حَيًّا وَقَدْ طَالَتْ سَلَامَتُه قَدَ صَارَ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ يَغْشَاهُ

---

[1]- سورة الأنفال، الآية67

[2]- مُحَمَّد بن زياد بن الأعرابي،الزهد وصفات الزاهدين،ط1، دار الفكر، بيروتد.ت، ص:23.

[3]- ابن القيم الجوزية، " **الفوائد** "، عن دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1983، ص:201.

[4]- ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:55.

[5]- المرجع نفسه، ص:279.

فالدنيا عند العتاهية كغيره من سبقوه في الوعظ، خائنة لعشاقها تُمَنّيهِمْ بنعميها الزَّائل، فتأتي على نَضَارة شبابهم فتتركهم إلى مصير آخرتهم، مصير الحياة الباقية وفي ذلك يقول:[1]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا إِنَّ لَهَا فِي كَلِّ يَوْمٍ عَوِيلَ
مَا أَقْتَلَ الدُّنْيَا لأَزْوَاجِهَا تَعُدُّهُمْ عَدَّ قَتِيلًا قَتِيلَ
اَسْل عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ ظُلِّهَا فَإِنَّ فِي الجَنَّة ظِلٌّ ظَلِيل

فهو صوَّرها كثيرة الأزواج كإشارة إلى فتنتها وسبيل غدرها، بعشاقها الذين ركنواْ لأيامها الزَّاهية، فقضواْ فيها من الزمن وطرًا.

نجد أَنَّ العتاهية من هاته التَّالية ما تقدم ذكره، نراه يجمع في زهدياته بين حب الدنيا وذَمِّها، فتلك العوامل القاسية التي عاشها جعلته ينحو منها هذا المنحى، مُذبذبًا في تعبيراته ليس له منها قَرَارْ وَاضِحْ، ونحن لا نُسلِّم بأنَّ هذا مِمَّا يقطع بذم توجُّهِهِ في زهده، فمن ذلك قال:[2]

مَا أَنْتِ يَا دُنْيَا بِدَار إِقَامَـةٍ مَا زِلْتِ يَا دُنْيَا كَفِئ ظِلَالْ
وَخَفَّفْت يَا دُنْيَا بِكُلِّ بَلِيَّـةٍ وَمُزَجَتِ يَا دُنْيَا بِكُلِّ وَبَـالْ
قَدْ كُنْتِ يَا دُنْيَا مَلَكْتِ مَقَادَتِي فَقْرُ يأتِيْنِي بَوَسْاوَسٍ وَخَبَالْ
حَوَّلْتِ يَا دُنْيَا جَمَالَ شَبِيْبَتِي قَبْحًا فَمَاتَ لِذَاكَ نُورُ جَمَالْ

وأما قوله في طلبها شاهده ما ورد من أخبار ما يؤكده سعيه لجمعها، منه ما أنشده في خلافة الأمين، بيتين كتبهما على شِرَاكِ نَعْلِهِ وقدمها للفضل بن الربيع الذي قالم فيه:[3]

نِعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِيَلْبَسَهَا قَرَمُ يَمْشِي بَهَا إِلَى المَجْدِ

[1]- المرجع نفسه، ص:195.
[2]- المرجع السابق، ص:193.
[3]- الأصفهاني، مرجع سابق ، ص:1158.

لَوْ كَانَ يَصْلَحُ أَنْ اَشْرِكَهَا خَذِّي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَذِّي

أراد بيتيه استدرار العطيّة، حيث اثنى الأمين على البيتين فقال: أجاد والله، ما سبقه إلى هذا المعنى أحد، فبلغ بهذا العتاهية مُراده حيث أمر له الأمين بعشرة آلاف درهم، فقبضها وانصرف.

وهذا قليل من كثير مِمَّا أثر عنه في طلب الدنيا والسعي لجمعها وكنزها، وهو كما نرى لا يقدح في زهدياته التي أتت عليها الظروف القاسية فَحَوَّلَتْ من رَزَانَتِهَا.

ب – الموت:

هو واحد من سُبُلِ الوعظ الزُّهْدي ومن أَبْرزِ موضوعاته الشعرية، إذ تنكسر به النفس وتخشع إليه الأفئدة، فتُرُدْ بها القلوب إلى القويم، لذا قيل في المثل السائر "كفى بالموت وَاعظًا"، حيث يُحدِّث الشعراء عنه من أنه مُنْطَلَقُ الفزع والرَّهبة في النفس، فهو يعكِّر راحتها، فهو هاجس يقض أنفاسها ويَعدُّ عليها أيامها.

إن فكرة الموت قديمة في الفكر العربي، فقد تناولها الجاهلي في أشعاره، لَمَّا كان يُحدِّث عن هواجس النفس المتأتية من خشية الفناء والوفلْ، استوقف من خلاله النفس أمام حقيقة الوجود المبنية على الفناء، غير أَنَّ نظرة الجاهلي من هذا التالي تبقى نظرة قاصرة، لم يستطع من خلال تجاربه الكثيرة الوصول إلى حقيقته المبنية على البعث والنشور الذي يعقب الموت والتوَّلِّي، لذا جرى على لسان الجاهلي القول بأَنَّ الوجود قائم "في أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلك الرجل إلا الدهر"، وقد حكى الحق تعالى في غير ما آية عن تلك النَّظْرَة التي بنى على أساسها الجاهلي قِوامَ وجوده، حيث قال معبرًا بلسان حالهم: ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ .[1]

وببزوغ فجر الإسلام كشف عن الموت الغطاء، فأقام منه الحقيقة الخالدة والحكمة البالغة التي من أجلها خلق الموت*، "إذ واجه الرسول صلى الله عليه وسلم...مصاعب ومشاق شديدة في تبليغ ما جاء في الكتاب، من أَنَّ الناس بعد الموت يحيون ويبعثون في يوم لا ريب فيه...ثم يجازيهم الله...بحسب ما قَدَّموا من

[1] – سورة الجاثية، الآية: 64.

* إثبات الحكمة الإلهية وهي القهر، وما يترتب عنه من بعث ونشور، وحساب وعقاب.

أعمال إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر"، فمن ذلك وضَّحت تعاليم الدين الحنيف معضلة الفناء الإنساني الذي تعقبه حياة سرمدية.[1]

والعتاهية تَمَثَّل تلك الخُطى في تناوله لفكرة الموت في زهدياته، إذ اتخذ من موادِّه كالزوال والتَّوالِّي والفناء سبيلا للوعظ والإرشاد، ردعًا للنفوس يَرُدَّها للطريق الصحيح الذي يرتضيه الشارع سبحانه وتعالى، فيتخذ من القبور وسَاكِنِيهَا العبرة والعظة للحضِّ على الزهد في الدنيا، يذكر ما كان فيه أصحابها الموفَرِينَ من التَّرفْ وصاروا تحت الأجداث يَتَأكَلُ محاسنهم الُّدودْ، فعاشوا إلى زوال بعدما وطنوا وعمروا، يقول العتاهية:[2]

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ القُبُورِ الدَّوَارِسْ كَأَنَّهُمْ لِمْ يَجْلِسُوا فِي المَجَالِسْ
وَلَمْ يَبْلُغُوا مِنْ بَارِدِ المَاءِ لَذَّة وَلَمْ يُطْعَمُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسْ
وَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ فِي الحَيَاةِ مُنَافِسْ طَوِيْلُ المُنَى فِيْهَا كَثِيْرَ الوَسْاوَسِ
فَلَوْ عَلِمَ العِلْمَ المُنَافِسْ فِي الذِّي تَرَكْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يُنَافِسْ

بالموت كشف العتاهية الغطاء عن الدنيا، وكشف عن زخارفها الزائلة ففضحها في العقول وكشف عن مكرها وسرعة زوالها حيث قال:[3]

إِنِّ دَارًا نَحْنُ فِيْهَا لَدَارُ لَيْسَ فِيْهَا لِمُقِيْمٍ قَرَارْ
كَمْ وَكَمْ قَدْ حَلَّهَا أُناسٌ ذَهَبَ اللَّيْلُ بِهِمْ وَالنَّهَارْ
فَهُمْ الرَّكْبُ أَصَابُوا مَنَاخًا فَاسْتَرَاحُوا سَاعَة، ثُمْ سَارُوا

وقد لعب العتاهية كثير في زهدياته على هذا التوتر الحَسَّاس في الوعظ والإرشاد لإدراكه العميق لِمَا لهذا التَّالي من أثر في النفوس، وقد غلب على زهدياته هاجس الموت الذي كثيرًا ما خالط به مواضيعه الزهدية الأخرى لكبير انتصار هاجس الموت على غيره من ألوان الوعظيات الأخرى، إذ بالموت ينعكس الجو

[1] – أحمد فلاق عروات، " **فكرة الموت في التراث العربي** "، عن دار هوامه للطباعة، الجزائر، ط2005، ص:115.
[2] ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:132.
[3] المرجع السابق ص:107.

النَّفسي الذي يحرّك شعور النفس، للإحساس الحتمي بحقيقة التَّولِّي والرَّجْعَة من بعد طول العمر، وأدرك بالمشيب حتمية الفناء والموت، وبِوَهَنِ العَظْمِ والمرَضْ والأسقام يدرك نَائِلُ الموت وهاجس التَّولِّي.

ج – الشيب:

دومًا كان الشيب وإلى العهد الجاهلي رمزية للضعف وتَولِّي اليفاعة والفُتُوَّة، وقد أقرَّه الحق تعالى في كتابه لَمَّا قال: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً**﴾ [سورة الروم، الآية53]، وأَنَّ المتقصي لظاهرة الشيب في شعر العتاهية، يجد أَنَّ العتاهة جعل منه ناعيه الذي عزَّاه في نفسه، إذ لابد من حياة الشباب أَنْ تُولِّي، فتنقضي بالمشيب مرحلة اللهو من حياة الإنسان، وأَنَّ الشيب مرحلة تالية للأولى تنذر بِدُنُوِّ الأجل والموت، فيه وعظٌ للنفس وكبح لجموع شهواتها، فيقود بها إلى الاستقامة والسير في سبيل التقى والصلاح، فمن ذلك قال:[1]

وَلَقَـدْ نَعَاكَ الشَّيْـبُ يَـوْ مَ رَأَيْتَ رَأْسَـكَ أَشْيَـبَا
ذَهَـبَ الـشَّبَابُ بِـلَـهْـوِهِ وَأَتَـى الْمَشِيْـبُ مُؤَدَّبَا

وعدَّ العتاهية المشيب ميتة الإنسان الأولى التي يواجهها في مصيره، تنذر بالآخرة حيث قال:[2]

الَشَّيْبُ إِحْدَى الْمِيْتَيَنِ تَقَدَّمَتْ الَشَّيْبُ إِحْدَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ إِحْدَاهُمَا
فَـكَأَنَّـمَا مَـنْ نَـزَلَـتْ بِـه أَوَلَاهُـمَا يَوْمًا فَقَدْ نَزَلَتْ بِه أُخْرَاهُمَا

كما هو في المشيب متمثَّل بحكم من سبقه من الزُّهَّادْ وأهل الحكمة، فصوَّر للمشيب في أقواله بصور حسية، ساقها من الواقع الحسي الذي فيه يشير إلى الحقيقة المقرة بوفل وذهاب نَضْرة كُلِّ شيء، سواءً من المحسوسات أو الناطقة أو غيرها من الأحراش والأنعام والنبات، والآيات الكثيرة الدالة على تلك الحقيقة

[1] – هشام مناع، " **أعلام الفكر العربي** "، أبو العتاهية، عن دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:1، 1999، ص:32.

[2] – المرجع نفسه، ص:31.

التي تمثَّلَها العتاهية ونطق بها غيره من الحكماء، هذا وإنْ اختلفت نظرتهم في أشياء كثيرة، اجتمعت إلى حقيقة خالدة، حقيقة التَّولِّي وذهاب اليفاعة من بعد القوة فمن ذلك قوله:[1]

لَهْفِي عَلَى وَرَقِ الشَّبَابِ وَغُصُونَهُ الخُضْرِ والرِّطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَانَ عَنِّـــي غَيْرَ مُنْتَظِرِ الإِيَابِ
فَلَأَبْكَيِنَّ عَلَى الشَّبَـــا بِ وَطِيْبِ أَيَّامِ التَّصَابِ

فالعتاهية حاول من خلال كلامه أَنْ يجمع في تصويره حياة الإنسان والنَّبات التي تتقاسمها حقيقة واحدة، حقيقة الضعف، فماثل يفاعة الشباب بنضرة وإخضرار الأوراق على غصون النبات والشجر، الذي تَتَأَكَلُه أفاعِيل الخريف فَتُعرِّيه من خُضرته ونضارته، مِثْله مِثْل الإنسان الذي يُعرِّيه المشيب من فتوته وقوته، فَيَتَثَاقَلَهُ السَّيْرُ وتَعُوذُهْ الحركة التي ذهب بها المشيب والكِبَرْ.

ولم يكن الشباب عند العتاهية إلا لهوًا ومرحًا وصبابة ينعم فيه، فيقتضي منه الملذَّات وكبيرَ الرَّغائب، فجاءه المشيب الذي قطع منه حِبالَ لهوه وغطَّى بَسْمَةَ الشباب، فأوقف النفس إلى المصير الذي دَنتْ أيامه، وتقاربت ساعاته وأجاله فقال:[2]

لاَحَ شَيْبُ الرَّأْسِ مِنِّي فَأَتَّضَحَ بَعْدَ لَهْوٍ وَشَبَابٍ وَمَرَحْ
فَلَهَوْنَا وَنَعِمْنَا ثُمَّ لَـمْ يَدَعْ المَوْتُ لِذِي لُبٍ فَرَحْ

2. مـــواردهـا:

اعتمد العتاهية في زهدياته على موردين أساسيين هما:

أ- القرآن الكريم والأحاديث:

لطبيعة توجهه في حياته الزاهدة، جعل العتاهية من القرآن الكريم وأحاديث المصطفى -عليه الصلاة والسلام- المرجعية الأولى لزهدياته، فأكثر من اقتباساته من القرآن والأحاديث الشريفة، يستقي منها معانيها تارة، ويأْتِي من ألفاظها ومعناها أحيانا أخرى، فيسوقها في مقالاته الوعظية، فتلقى أشعار صَدَاهَا

[1] - المرجع نفسه، ص:29.
[2] المرجع السابق، ص:30.

بمعانيها التي سَاقَها من النصوص الشريفة في نفوس الناس، فيتأثرونَ لها ويقفون عندها بالإجلال، يتدبَّرون معانيها فيأخذون بما فيها.

فالعتاهية يقتبس من القرآن العديد من الكلمات والآيات ويُضمِّنها شعره، بطريقة لا تخلو من براعة الرَّبْطِ والنَّظم وكان ينظر طويلًا في أساليب القرآن يَنْظِمُ على منواله، يَنْزِلُ تضميناته منازلها فيبلغ أهدافه فمن ذلك اقتباس شطر آية من قوله تعالى ﴿**أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾ [سورة الشورى، الآية53]، وتضمينها شطرًا من أبيات قصيدته التي قال فيها:[1]

أَلاَ إِلَـى اَللهِ تَصِيرُ الأُمُـورِ مَا أَنْتِ يَا دُنْيَا إِلَّا غُرُورْ
إِنُ امْرُأُ يَصْفُو لَهُ عَيْشُـه لِعَاقِل عَـمَّا تَـجنَ القُبُورْ

واقتباسه من قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [سورة لقمان، الآية27]، وضمنها مقطوعته فجرى بها مجرى التَّرغيب والتشجيع على ذكر الله وعبادته وشكره على فضائل وألائه حينما قال:[2]

لِلَّهِ عَـاقِبَةُ الْأُمُـورِ طُوْبَـى لِمُعْتَبِرٍ ذَكُـورْ
طُوبى لِكُـلِّ مُرَاقِـبٍ وَلِـكُـلِّ أَوَّابٍ شَـكُـورْ

ويقتبس العتاهية لزهدياته المعاني من القرآن الكريم اِلتماسًا لتجويدها وبلوغ تأثير وما آل عليه فيها من التكفير عما فاته من الخير في صباه فمن ذلك قوله:[3]

المَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلَـهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا بَعْدَ المَوْتِ
مَا الدَّارُ جَنَّةُ الخُلْدِ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي الإِلَهَ وَإِنْ قَصَّرْتَ فَالنَّارُ

حيث استقى دلالة البيت الأول من آي ومعاني القرآن الكريم لثقافته الإسلامية الفذَّة، إذ جاءت الآيات الكريمات تُذكِّر بذلك في معاريض وعظية بحقيقة فناء الخلق والوجود، فمن ذلك قوله تعالى﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا**

[1]- ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:116.
[2]- المرجع السابق ، ص:113.
[3]- المرجع نفسه، ص:100.

﴿فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمان، الآية26]، لتُكلِّم بعدها إلى المصير الذي يصير إليه كل إنسان في تَاليةِ أمره إمَّا روضة من رِيَاضِ الجَنَّة أو حُفْرةٌ من حُفَرِ النَّارْ.

ولم يقف الأمر بالعتاهية عند الموت وأهواله وعصيب أخباره، بل تَخطَّاه باحثًا في معاني القرآن الكريم ليستقي ما ينتظر المرء من أمور أشد من أخبار الموت، فتكلم عن الحشر والنشر وما يتبعهما من حساب وجزاء وعقاب حينما قال:[1]

فَلَوْ كَانَ هَوْلُ المَوْتِ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ لَهَانَ عَلَيْنَا الأَمْرُ، وَاحْتُقِرَ الأَمْرُ
وَلَكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ وَمَا قَدْ يَسْتَطِيْلُ بِهِ الخَبَرُ

واستقى العتاهية من هذا اللون الكثير من معاني الآيات الكريمة عن مصير العباد، مصير الجنان والنار، والتي يتضح من خلال ما كَلَّم فيها برأته مما رماه به الناس من الزندقة، بِأَنْ كان يتناول في أشعاره الموت، دُونَما ذكرٍ لمآل الآخرة، من الجِنَانِ وما عَدَّ فيها لأصحابها من الخير، ودونما ذكر للنار وما أحْضر لأصحابها فيها من الشرور، فيها كشف عن مذهبه الصحيح من المغيَّباتْ شأنه شأن كل مسلم قَوِيمْ.

كما جعل العتاهية من الأحاديث النبوية كذلك عونا لزهدياته، استقى منها معانيها العظيمة، المفعمة بالحكمة التي سَاسَ بها النبي–صلى الله عليه وسلم–أصحابه وقادهم إلى مَصَافِّ الأمم العظيمة، فمن ذلك ما قَصَّهُ ثمامة بن أشرسَ بأَنَّ العتاهية أنشده بقصد قال فيه:[2]

إِذَ المَرَءُ لَمْ يَعْتِقْ مِنَ المَالِ نَفْسَهُ تَمَلَّكَهُ الَمَالُ الذِّي هُو مَالِكُهُ
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الذِي أَنَا مُنْفِقٌ وَلَيْسَ المَالُ الذِي أَنَا تَارِكُهُ
إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَبَادْرِ بِهِ بَحَقٍ إِلَّا اسْتَهْلَكَتْه مهالكهُ

فقال ثمامة من أين قضيت بهذا؟ فقال من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت".

[1]– المرجع السابق ص:111.
[2]– الأصفهاني، مرجع سابق، ص:1093.

فنرى تطابقًا لأقوال العتاهية ومعانيها مع قول المصطفى –عليه الصلاة والسلام–، الذي قضى فيه المصطفى –صلى الله عليه وسلم– بحقيقة مآل العبد، مُقِرًا بأنَّ خير ما يدَّخره العبد من ماله ما دفعه لِتَالِيتِهِ، دار قراره ومعاده.

كما أخذ معاني قوله تعالى ﴿**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿**وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[2] ،فنظم على معانيها بقوله:[3]

مَا أَقْرَبَ المَوْتَ جِدًا أَتَاكَ يُشْتَدَّ شَدَا

تَمُوتُ فَرْدًا وَتَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا

حيث جاء بأبياته مؤكدا على حقيقة تَولِّي الخلائق أفرادًا ما جاؤوا إلى هذه الدنيا أفرادًا لا يملكون منها من قطمير، فَيُحْضَرُونَ وما يملك بعضهم لبعض من شيء فيقضى فيهم أفردًا أفرداً.

كما أخذ كذلك من معاني قوله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[4] وضمنها كلامه لما قال:[5]

وَمَا خُلِقَ الإِنْسَانُ إِلَّا لِغَايَة وَلَمْ يُتْرَكْ الإِنْسَانُ فِي الأَرْضِ مُهْمَلَا

حيث أشار العتاهية إلى ما أشارت إليه ونبهت إليه النصوص من غاية الخلق، ليدفع الناس للعمل والعبادة وإخلاص التَّوجه إلى الغاية التي خلقوا من أجلها، وترك الدنيا المِغْرَارة، التي ما خلق الإنسان لمعاشرتها والرَّكُنِ لزخارفها المشَاقَّة لِمَا يرتضيه سبحانه وتعالى من عباده.

---

[1]– سورة مريم، الآية: 80

[2]– سورة مريم، الآية: 95

[3]– هشام مناع، " **أعلام الفكر العربي** "، مرجع سابق، ص:25.

4– سورة الذاريات، الآية:56

[5]– ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:84.

ونجد أَنَّ العتاهية قد تقفَّى خُطى معاني القرآن التي تخدم زهدياته وتتماشى ومقامات وعظياته، وخطى بها على خطى غيره مما درجوْا مدارج التنسك والزهادة، كالحسن البصري وبن المبارك و بن دينار وغيرهم مِمَّنْ كانت لهم اليَدْ في صنع الزهديات.

ب– الفلسفة والثقافات:

لَمَّا كانت هاته التالية واحدة من بين الأسباب التي دفعت بالعتاهية إلى التولِّي والرَّجعة، بتنسُّكِه وتقفيه خطى الزُّهَّاد والنُّسَّاك، وهو أمر طبيعي إذ قضى بذلك الوسط الذي عاش فيه العتاهية، إذ عرف في العصر العباسي امتزاجًا وتنوعًا في الثقافات، وانتشرت بين الناس في مجالس الخاصة والعامة، وصارت أحاديثهم تدور حول مختلف المعتقدات والرؤى المختلطة بالفلسفة، والتي أَثَّرَتْ كثيرًا في المعتقدات الإسلامية والعوائد العربية، حيث ظهرت الفرق الكلامية التي أخذت منابعها من الفلسفة اليونانية، فظهر الحديث عن خلق القرآن والاستواء وغيره من المسائل التي تضاربت فيها الآراء واختلفت، فكان من الطبيعي لإتساع نطاق آثار الفلسفة مختلف الثقافات الوافدة، أَنْ تَطْطَبِغْ املاءاتها في فكر أبي العتاهية، التي عكسها في نتاجاته الشعرية، وقد سبق أن حدَّثنا في غير هذا الموضع أنَّ العتاهية استقى بعض معاني أبياته من كلام الفلاسفة اليونان في رثائهم للقائد الإسكندر، كما نجد في زهدياته توظيف واضح لمعالم الدِّيانة المانوية التي تأثر بها وأخذ ببعض تعاليمها المبنية أساسًا على مبدأ العزوف عن الدنيا، هذا وإن كانت رؤاها موغلة في الفناء عن الدنيا لا تتماشى مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وقد وظَّف العتاهية في زهدياته أبرز معالمها التي ترى منها المانوية بأن العالم خُلِقَ من شيئين متضادين الظلمة والنور ونلتمس ذلك في قوله:[1]

لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدَنٌ وَجَوْهَرٌ ... وَأَوْسَاطٌ وَأَصْغَرٌ وَأَكْبَرٌ
وَكُلُّ شَيْءٍ لاَحِقٌ بِجَوْهَرِهْ ... أَصْغَرُهُ مُتَّصِلُ بِأَكْبَرِهِ
الخَيْرُ والشَّرُ هُمَا أَزْوَاجُ ... لِذَا نِتَاجٌ وَلِذَا نِتَاجُ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانْ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ
وَالخَيْرُ والشَّرُ إِذَا ما عَدَا ... بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًا

[1]– ديوان أبو العتاهية، المصدر السابق، ص:293.

3. خصائصها الفنية:

أ- بنية القصيدة:

إنَّ النظر الى القصائد التي نظمها العتاهية في الزهد، يجدها لا تنحو منحى البناء الفني الموروث الذي يعتمد على التمهيدات والمقدمات التي كان يسعى بها أصحابها للفت انتباه السامعين للوقوف به على المراد، والغرض الذي تلوح إليه القصيدة، فلم يُعدِّد فيها الاغراض، وإنَّما قصرها لغرضٍ واحد، غرض الزهد، الذي سعى به للوعظ-والإرشاد حتى يكفِّر عَمَّا فاته في شبابه، فمن ذلك قوله:[1]

أَلاَ طَالَمَا خَانَ الزَّمَانُ وَبَدَّلَا ... وَقَصَّرَ آمالَ الأَنَامِ وَطَوَّلَا
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مُعَافَى وُمبْتَلَى ... وَمَازَال حُكْمُ اَللهِ فِي الأَرْضِ مـُرَسَّلَا
مَضَى فِي جَمِيْعِ النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ ... وَفَصْلُه مِنْ حِيْثُ شَاءَ وَوَصَّلَا
وَلَسْنَا عَلَى حُلْوِ القَضَاءِ وَمُرِّهِ ... نَرَى حَكَمًا فَيْنَا مِنْ اللهِ أَعْدَلَا
بَلَا خَلْقَهَ بالخَيْرِ وَالشَّرِ فِتْنَة ... لِيَرْغَبَ فِيْمَا فِي يَدِيهِ وَيَسْالَا
وَلَمْ يَبْغِ إِلَّا أَنَّ يُبَوءَ بَفَضْلِهِ ... عَلَيْنَا وَإِلَّا أَنَّ نَتُوبُ فَيَقْبَلَا
هُوَ الأَحَدُ القُيُّوم مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ ... وَمَا زَالَ فِي دِيْمُومَةِ المُلْكِ أَوَّلَا
كَفَى عِبْرَةٍ أَنِّي وَأَنَّكَ يَا أَخِي ... نَصْرِفْ تَصْرِفَا لَطِيْفًت وُنُبْتَلَى
كَأَنَّا وَقَدْ صِرْنَا حَدَيْثًا لِغَيْرِنَا ... نُخَاضُ كَمَا خِضْنَا الحَدِيْثَ لِمَن خَلَا
تَوَهَّمْتُ قَوْمًا قَدَ خَلَواْ فَكَأَنَّهُمْ ... بِأَجْمَعِهِمْ كَانُواْ خَيَالًا تَخَيَّلَا
وَلَسْتُ بِأَبْقِى مِنْهُمْ فِي دَيَارِهِمْ ... وَلَكِنْ لِي فِيْهَا كِتَابًا مُؤَجَلًا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَيتٍ وَبْنْ مَيتٍ ... تَأَجَّلَ حَي مِنْهُمْ أَوْ تَعَجَّلًا
وَلَا تَحْسِبَنَ اللهَ يَخْلِفٌ وَعْدَهُ ... بَمَا كَانَ أَوصَى المُرْسَلِينَ وَأَرْسَلَا
هُوَ المَوْتُ يَا بْنَ المَوْتِ وُالبَعْثُ بَعْدُه ... فَمِنْ بَيْنِ مَبْعُوثٍ مُخَفَا وُمُثَقَّلَا
وَمِنْ بَيْنِ مَسْحُوبٍ عَلَى حَرِّ وَجْهِهِ ... وَمُنِيبِنَ مِن يَأْتِي أَغَرَّ مُحَجَّلَا
عَشِقْنَا مِنْ اللَّذَاتِ كُلَّ مُحَرَّمَ ... فَأَفٍ عَلَيْنَا مَا أَغَرَّ وَأَجْهَلَا
رَكِنَّا إِلَّى الدُّنْيَا فَطَال رُكُونُنَا ... وَلَسْنَا نَرَى الدُّنْيَا عَلى ذَاكَ مَنْزِلَا
لَقَدْ كَانَ أَقْوامَ مِنْ النَّاسَ قَبْلَنَا ... يَعَافُونَ مِنْهُنَّ الحَلَالَ المُحَلَّلَا

[1]- المصدر السابق ، ص:201.

فَلِلّهِ دَارَ مَا أَحَثَّ رَحِيْلِهَا وَمَا أَعْرَضَ الآمالَ فِيْهَا وَأَطْوَلَا
أَبَى المَرْءُ إِلَّا أَنْ يَطُولَ اِغْتِرَارِهِ وَتَأْبَى بِهِ الحَالَاتِ إِلَّا تَنَقُّلَا
إِذَا أَمَلَ الإِنْسَانِ أَمَرًا فَنَالَهُ فَمَا يَبْتَغِي فَوْقَ الذِّي كَانَ أَمَلَ

في هاته القصيدة أَخْلَصَ العتاهية فيها لغرض الزهد ولم يَعْدُو بها لغيره من الفنون الشعرية، وهو أمر طبيعي في هذا اللون من الالوان الشعرية، إِذْ شعر الزهد يختلف عن غيره من الأشكال الشعرية، التي كان يَحْرِصُ فيها اصحابها على المقدِّمات ومتابعة التقاليد والسَّنَنْ الشعرية التي لا يخرج فيها عن العمود الشعري.

فإذا كان الشاعر في غير الزهد يتجه بشعره وقصائده إلى ممدوحيه يبغي عَطَّيتهم باستدرار أَكُفَّهُمْ، وإلى النُّقاد طِمعًا في تقريظهم، وقد حَرِصَ على تقاليد النَّظم ولزمَ دهرًا من العمود يتحسَّسْ من شعره النَّقائص والاعوار، مُتمِّثلًا في ذلك قول القائل:[1]

وَجَشَمَنِي خَوْفَ بَنَ عَفَّانٍ رَدَّهَا فَثَقَّفْتُهَا حَوْلً حَرِيْدًا وَمَرْبَعَ

لِيَنَالَ بذلك رغائبه ومراميه، فعلى العكس منه من ينظم في شعر الزهد، فهو لا يتجه به إلى ممدوح ولا يقصد به كسب رِضَا النَّاظِرْ...،فلا يَعِدُو شعره أنْ يكون إلا تصويرًا لأحاسيسه، يتوجه به إلى الخَاصَّة من الناس وعامتهم يبغي رَدَّهم إلى المنهج الصحيح، لأن الزهد ليس من مذهب الملوك، ولا من مذاهب رواة الشعر ولا من طُلَّابِ الغريب، فهو مذهب أشغف الناس به من الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء عامة الناس.

وعَلَّ هذا ما جعل القدماء ينحون إلى القول بأن شعر العتاهية تَكْتَنِفُهُ القوة وتعتريه السَّقْطَة، ومن ذاك قول الأصمعي: ((شعر العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والخزف والذهب والنوى))[2]، وقول أخر: ((كان العتاهية مع اقتداره في قول الشعر، وسهولته عليه، يكثر عساره وسقطاته وكان يلحن في شعره)).[3]

[1]- أبو بكر بوشيبة، " **النقد في صدر الإسلام** "، مرجع سابق ص:29.
[2]- الأصفهاني، " **الأغاني** "، مصدر سابق، ص:1119.
[3]- هاشم صالح مناع، " **أعلام الفكر العربي** "، مرجع سابق، ص:44.

فساق بذلك العتاهية زهدياته على طبيعته، مُجَانِبًا بذلك كل تكلُّفٍ بَعِيدًا عن العمق سالكًا بها جانبًا من السَّطْحية والبساطة في تعابيرها ومعانيها، يفهمها الخاص والعام.

والملاحظ على هاته القصيدة انَّها تدور حول فكرة واحدة، هي فكرة الزهد الذي تَردَّد كثيرًا في أشعاره، واحتل جانبًا كبير من ديوانه، مِمَّا حقَّقَ لها جانبًا من الوحدة الموضوعة، مع ذلك يمكننا أَنْ نقسِّمها إلى جملة من الأفكار التي اِنْضَوَتْ تحت فكرتها الرئيسة.

حيث حَدَّث إلى البيت العاشر عن القضاء والقدر، الذي يمثل سمة من سمات الزاهد المؤمن بأقدار الله وقضائه، الذي يقضي فيه بالصبر على الابتلاء والرِّضاء فيها، فَتكَلَّمَ العتاهية عن سمة الزمان الخَوَّانْ الذي يُغيِّر ما في هذه الدنيا ويبدل ما فيها كيف شاء، يُقصِّر ويُطيل الأماني في هاته الفانية كيف شاء، فينخدع منه السَّالم المعافى من كل نقيصة، فيمنِّيه بِطُولِ الأمل فيكسب على نفسه الآثام والخطايا، ويُقصِّر الحياة بالمبتلى فتَضِيعُ به نفسه فتُكْسَر آماله وأَحْلامه، كَلٌّ بعيدٌ عن سِرْبِ الإيمان بخالق الأكوان الذي جعل من الأقدار مدرسة يجتازها من أذعن لقضائه ورضي بأقداره حُلوها ومُرها، وهي معاني كما نرى منتقاة من الثقافة الاسلامية.

كما حَدَّث إلى البيت السادس عشر عن الموت والحياة التي شغلت الإنسان إلى عهود متقدمة من تاريخ البشرية، حيث حَدَّث عن السنة الخالدة التي قضاها الله سبحانه وتعالى من عباده حينما كَلَّم بقوله: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [سورة الرحمان، الآية27]، فصَّور العتاهية بخياله فناء الناس مِمَّنَ عرف كَأَنْ لم يَعْرِفُواْ من العيش نصيب، إذ المرء ميتٌ من ميتْ...، أكثر فيها من تكرار لفظ الموت ليعكس به حجم ذلك الغائب الذي تَهِيْبَ له النفوس وتَنْقَطِعُ إليه الأنُوفْ، فترزح تحت أملأته المهولة التي يعقبها بعث إلى حياة خالدة.

وحدَّثَ إلى الثاني والعشرين عن فتنة الدنيا المغْرارة بزخارفها الزَّائلة، التي كشف وضاعتها ووفُلَهَا فَنَائَهَا، فالعتاهية يَتَأَسَّفْ على من تسوقه نفسه إلى الملذات الكاذبة، فتُوقِعُه في المحارم والحدود، فيأتي منها الكبير والصغير لإشباع نزواته وشهواته، والكَيِّسُ من لَزِمَ التَّأَمُّلْ في فنائها فَعَّد لغيرها، يقول العتاهية:[1]

هِـي الـدُّنيَا إِذَا كَـمَلَتْ وَتَـمّ سُرُورَهَا خَـذَلَـتْ
وَتَفْعَلْ فِي الذِينَ بَقواْ كَمَا فِيْمَنْ مَضَى فَعَلَتْ

[1] – ديوان أبي العتاهية، مصدر سابق، ص:56.

ب- الأسلوب:

تمتاز زهديات العتاهية بسهولة ألفاظها ووضوح معانيها بعيدة عن التَّكلُّف والتعقيد، وعَلَّ هذا يعود إلى ما أسلفنا في غير هذا الموضع، من أَنَّ شعر الزهد ليس كغيره من الأغراض التي يسعى بها أصحابها بشكل أو بأخر لتحصيل عَائدْ.

وأنَّ الغرض الذي طرقه العتاهية غَطَّى على كتاباته الشعرية، ارتبط بالزهد كنزعة دينية، أحاط به الأعداد الكبيرة من الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وثقافاتهم، فارتبط ألفاظه ومعانيه ارتباطًا وثيقا منهم، إِذْ لا يَكَاد المرء يحتاج إلى كبير عناء لفهم كلامه.

لأن العتاهية لم يَبْرَحْ في تعبيراته استعمال سوى اللغة البسيطة التي يستعملها الناس في حياتهم اليومية القريبة المعاني والدَّلَالَاتْ، وأنه كان يحب البساطة في التعبير واستعمال الألفاظ القريبة من العامة، فهو بذلك يسعى لتحقيق العلاقة التي تربط الأدب بالمجتمع، القائمة على التأثير والتأثر، فهو فضلًا عن كونه فردًا من الجماعة يسعى ليؤثر فيهم، بتقفي القريب إلى العامة التي تمثِّل سواد المجتمع.

فسبيله ذاك، حمل سِرَّ رَبْوَةَ شِعْرِهِ على نظم غيره "إذ سار قوله:[1]

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بَاللَّذَةِ الجَسُورُ

سار بيته في الناس بشكل كبير، حَمَلَ على بيتً بَشَّارْ الذي ساقه على منواله حينما قال:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لِمْ يَظْفَرْ بَحَاجَتِهِ وَفَازَ بالطَّيِّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجَ

وهو أكبر برهان على أَنَّ شعر العتاهية كان أقرب إلى الناس من شعر غيره، لبساطة ألفاظه ومعانيه، فسهولتهما جعلًا شعره مقدمًا عن غيره من شعراء عصره، إذ كانواْ معجبين بشعره لسهولته، يقدَّمونه على

[1] – أحمد عبد الستار الجواري، "**الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث هجري**"، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط:1، دون تاريخ طبع، ص:322.

أنفسهم، فهذًا بشَّار يقل عنه: ((أشعر أهل زمانه مخنث أهل بغداد))[1]، أما سلم الخاسر قال عنه هو أشعر الإنس والجن.

بالإضافة إلى ذلك كله نجد أَنَّ العتاهية استغل لغة القرآن وطَوَّع الكثير من آياته في شعره، ولغة القرآن إلى ذلك الوقت لغة ومَألُوفَةٌ يدركها العام والخاص، إِذْ القرآن الكريم الشُّغلُ الشَّاغِلْ في حياة الناس، يتلونه أناء الليل وأطراف النهار تقربًا لله تعالى، فلم تَعْدُو ألفاظه في زهدياته أنْ تخرج عن إطار المعجم الشعري الخاص بالزهد، المَنَوِّه، بفناء الدنيا وزوال زخارفها الحَاسَّة على أمر الآخرة الباقية، فكأنَّما جمعها وصاغها في شعره، إِذْ جَمعَ للزهد من كل وسائل الوعظ، فنجده سخَّر من ألفاظ التَّزهد في الدنيا مَعْجَمَه كالدَّهر وصروفه، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله:[2]

إِنَّ للدَّهْرِ فَأعْلِمْنَ عِثارًا فَإِلَى كَمْ أَمَا تَرَى الأَقْدَارِ
مَنِ رَأى عَبْرَةً فَفَكّرَ فِيهَا لِمْ يَزِدْهُ التَّفكيرِ إِلَّا اعْتَبَارَ

وقوله من المشيب:[3]

وَلَقْدَ أَقَامَ لِي المَشِيْبُ نَعَتْهُ يُفْضِي إِلّي بِمُفْرِقٍ وَقَذالِ
وَلَقْدَ رَأَيْتُ المُوْتَ يُبْرِقُ سَيْفُهُ بَيَدِ المَنِيَّةِ حَيْثَ كُنْتُ حِيَالِي
وَلَقْدَ رَأَيْتُ عُرَى الحَيَاةِ تَخَمَّرَتْ وَلَقَدْ تَصَدَّى الوَارِثُونَ لِمَالِي
وَلَقْدَ رَأَيْتُ عَلَى الفَنَاءِ اَدَلَّـةَ فَيمَا تُنْكِرْ مِنْ تَصَرُّفِ حَالِي

فهي ألفاظ كما نرى بسيطة مستقاة من لغة المجتمع وأحاديث أيامه، لأن قِوامَها حديث الذي اعتداه الناس من فوق المنابر ومجالس أُنْسِهِمْ وسَمَرِهِمْ، هي ألفاظ تُكَلِّمْ عن الأوبة التي كَلَّمَ عنها الحق تعالى في كتابه.

---

[1]- الأصفهاني، "**الأغاني** "، مصدر سابق، ص:1097.
[2]- ديوان أبو العتاهية، مصدر سابق، ص:102.
[3]- المصدر نفسه، ص:190.

فمن ذاك العتاهية كان يَتَوخَّى اليسير السهل في شعره، ليتقرَّبَ بذلك مِنْ أفاهم العامة، فيدركهم برسالته التي يصبو إليها، يقول صاحب الأسطورة، أَنَّ سائِلًا سأل أبا العتاهية أَنْ ينشده من جيد ما قاله في الزهد، فردَّ عليه قائلا: ((أعلم أنَّ ما قلته ردئ، لأن الشعر ينبغي أنْ يَكُونَ مثل أشعار الفحول المتقدمين،...فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أَنْ تكون ألفاظه مما لا يخفى على جمهور الناس مثل شعري ولاسيما الأشعار التي في الزهد))[1]، ففي كلامه تصريح ببساطة زهدياته، والقارئ لشعره لا يجد حَرَجٌ في إدراك معانيها لبساطة ألفاظها القريبة من العامة.

د- الصورة الفنية:

في مستوى التصوير الفني في زهديات العتاهية نلتمس شيئا من نبض الطبيعة، التي حاول أَنْ يقرِّب بها المفهوم والمعاني إلى الأذهان، هذا وإِنْ كانت زهدياته أخذت من البساطة في ألفاظها ما جعل إدراكها وفهمها غير بعيد المنال، نجده جسد صوره الفنية من خلال التصوير الحسي للطبيعة في تعبيراته عن مواد الزهد ومواضيعه، حَالَهَ حَالَ كُلِّ شاعر يَتَّكأْ في تصويره على الطبيعة وموادها، إذ تُمثِّل الأسَاسْ الأول للتَّصْوير الفني لذلك قيل الأدب محاكاة للمحاكاة، أي تصوير للوجه الثاني من عالم المثل.

وشعر الزهد بطبيعته من ألصق الأغراض بعد الوصف بالطبيعة، إذ التَّفْكر والتأمل في الطبيعة من المحطات التي تَسْتَوقِفُ النفس في كشف الغطاء عن الدنيا، وتصل بها إلى الحقائق الربانية التي دعا إليها الشارع الحكيم في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾ [2] وقوله: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ**﴾[3]، ...وغيرها كثير من الآيات الداعية إلى التَّدبر في ملكوت الله عز وجل، وكلها من مواد الطبيعة التي لها أثر كبير على النفس الأبية.

فمن خلال تصويره عبَّر عن إحساسه ومشاعره، وذلك من خلال تجسيد محسوس الطبيعة وتَمَثُّلُه في الإنسان مستغلًا وشَاوجَ القربى فيها، التي تُحَقِّقْ للتصوير مصداقيته وتعكس بَعْدَه الفني...، غير أنَّ الملاحظ

---

[1] - مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، " **أسطورة الزهد عند أبي العتاهية** "، مرجع سابق، ص:156.

[2] - سورة ق، الآية:6

[3] - سورة الغاشية، الآية: 19

على أشعاره الزهدية عموما أنه لم يُكْثِرْ من استعمال التصوير البعيد عن النقل الآلي للحالة، فلا نَكَادْ نجد إلَّا البيت أو البيتين في مقطوعاته الشعرية يستعمل فيها جانبًا من التصوير الغير آلي إن صح التعبير.

فمن ذلك لم يَعْدُو تصويره أَنْ يكون غير مُوغِل في إنتاج الصورة المبنية على التأمل البعيد، ولَعَلَّ ذلك يعود في رأينا بالأساس إلى اعتماده على اللغة البسيطة لغة العامة التي يفهمها القاصي والدَّاني، جعلت التصوير على قدرتها تَتَّسِمْ بالبساطة فغلب بذلك على صورته الشعرية التَّصوِيرْ الآلي الذي وقف منه العتاهية واصفًا لجانب من الجوانب الزهدية وهو وصف بسيط ساقه من ثقافته الإسلامية.

ومن الطبيعي أَنْ تجد في تصويره الغير مباشر التشبيهات والاستعارات، التي قَارَبَ من خلالها العتاهية بين المحسوس من عناصر الطبيعة والعوارض الفطرية التي تصيب الإنسان للقواسم المشتركة بينهما خاصة ما تعلق بالشيب والذي حَدَّثْنَا عنه في غير هذا الموضوع من مسار بحثنا، فمن ذلك قوله:[1]

يَبْلَى الشَّبَابُ وَيُفنِى الشَّيْبُ نَضْرَتِهِ كَمَا تَسَاقَط، عَنْ عِيْدَانِهَا الوَرَقُ
كَمَا أَرَاكَ وَمَا تَنْفَكُّ مِنْ طَمَعٍ تَمُدُّ مِنْكَ إِلَيْهِ الطَّرْفَ وَالعُنُقُ

وقوله:[2]

لَهْفِي عَـلَى وَرَقِ الـشَّـبَابْ وَغُـضُونُهِ الـخُضْـرِ الـرِّطَـابِ
ذَهَـبَ الـشَّبَابُ وَبَـان عَـنِّي غَـيْـرُ مُـنْتَـظِـرِ الإِيَـــابِ

فمن خلال هاته الأبيات حاول العتاهية أَنْ يقرِّب الصورة الحقيقة للإنسان المبنية على الضعف الذي لا يتدارك ماهيته إلَّا بوهن العظم، فيستجيب الإنسان حينها لناعيه "الشيب"، الذي نعاه في عمره الذي شَارَفَ على الإياب بالرَّحيل عن الفانية إلى مستقر الآخر، ونقل العتاهية هاته الصورة مستعينًا بعناصر الطبيعة المبنية على هاته الحتمية، القوة التي يعقبها ضعف ونَخْرُ في عناصرها من الجمادات والأحياء، وإختار العتاهية عنصر النبات الذي يُمثِّل مَدَار الحياة كلها بعد الماء، فَعَارَ منه مزاياه المقاربة لحقيقة الضعف والتوَّلِّي

[1] – ديوان أبي العتاهية، مصدر سابق، ص:168.
[2] – المصدر نفسه، ص43.

عند الإنسان، فَمثَّل بتَساقط أوراق النبات لضعفِ سوءً لعامل الخريف، أو لعامل الوفْلْ فيه، بناعي أوراق الشباب النضرة بناعي الأيام الجميلة التي مثلتها حياة الشباب.

فقارب بين فعل الخريف وفعل الشيب لاشتراكهما في رمزيتهما للضعف وتَولِّي الفتوة والقوة، فهو كما نرى تصوير ابتعد فيه عن النقل الآلي للصورة، فمن خلال المقاربة بين شيئين تَماثَلَا في شية مزية واحدة.

وقوله في وجه آخر من التصوير:[1]

وَالشَّيْبُ يُنْعِي إِلَى المَرْءِ الشَّبَابَ كَمَا يُنْعِي الأَنِيسُ إِلَيْهِ المَنْزِلُ الخَالِي
لَأَطْغَنَنَّ إِلَى دَارٍ خُلِقْتُ لَهَا وَخَيْرُ زَادِي إِلَيْهَا خَيْرَ أَعْمَالِي

فمن خلال البيت الأول قَارَبَ العتاهية بين صورتين تُمثِلَانِ جانب من الجوانب التي تَسْتَوْقِفُ النفس، وتلوح بها إلى الزَّهادة والبُعْد عن الدنيا بوضع إغراءاتها، فشبه ناعي العمر الذي تَمثَّل في الشيب بناعي الأحباب الذي مَثَّله بخلاء الدُّورْ والمنازل، والعتاهية تَمثَّل هاته الصورة من خلال ما أوحت به الأشعار القديمة ساعة وقوفهم على الأطلال، التي تحملت إلى حد كبير رمزية الحقيقة الخالدة حقيقة الفناء، ومفارقة الأحباب والخِلَّانْ، لذا فالبيت الثاني جاء يؤكد رحيله بالعمل إلى الدار الآخرة، ذاك لإدراكه العميق بحقيقة الدنيا الزائلة، متمثَّلًا بذلك ما أوحت به الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاكية عن تلك الأخيرة الحاثة على الإعداد للآخرة وطرح الدنيا لأهلها وعشاقها.

ويتجلى لنا تصويره الآلي في كثير من مقطوعاته الشعرية، وهو تصوير مباشر غلب عليه زهدياته، فمن ذلك قوله:[2]

أَلَا نَحْنُ فِي دَارٍ قَلِيْلٌ بَقَاؤُهَا سَرِيْعٌ تَدَاعِيْهَا، وَشِيْكٌ فَنَاؤُهَا
تَزَوَّدُ مِنَ الدُّنْيَا التُّقَى وَالنَّهْى فَقَدْ تَنَكَّرَتْ الدُّنْيَا وَحَانَ إِنْتِهَاؤُهَا
غَدًا تُخَرَّبْ الدُّنْيَا، وَيَذْهَب أَهْلُهَا جَمِيعًا، وَتُطْوَى أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
تَرِقْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى أَيَّ غَايَةٍ تَمُوتُ إِلَيْهَا، فَالمَنَايَا وَرَاءُهَا
وَمَنْ كَلَّفَتْهُ النَّفْسُ فَوْقَ لَذَّاتِهَا فَمَا يَنْقَضِي حَتَّى المَمَاتْ عَنَاؤُهَا

[1]- المصدر السابق، ص:210.

[2]- المصدر نفسه، ص:11.

فالعتاهية من خلال أبياته نقل لنا صورة بسيطة عن فناء الدنيا وتولّيها، وهي صورة بسيطة يدركها كل فرد سواء كان مسلما أو دون ذلك، وصفها مزية إنسانية يعرفها كل الناس، فهو وصف فيها عاقبة الدنيا وتاليتها الآيلة إلى الفناء، وذهاب أهلها فيعقبهم خرابها، غير أَنَّ العتاهية في تصويره وقف على حقيقة لا يدركها إلا المؤمن، حيث عبَّر عن طَيَّ الأرض والسماء التي ساقها من ثقافته الاسلامية، كما صوَّر حَال جشع النفس التي لا ينفك كفافها عن طلب الدنيا الذي لا ينقضي إلا بهادم اللذات، وهي صورة بسيطة تعكس جانبًا من الجوانب الاجتماعية التي عرفتها الناس في كل عصر ومصر.

وقوله كذلك:[1]

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا لَقَدْ أَوْطَنْتَهَا وَأَمِنْتَهَا، عَجَبًا فَكَيْفَ أَمِنْتَهَا؟
وَشغَلْتَ قَلْبَكَ عَنْ مَعَادِكَ بَالمُنَى وَخَدَعْتَ نَفْسَكَ بالهَوَى وَفِتْنَتَهَا
إِنْ كُنْتَا مُعْتَبِرًا فَقَدْ أَنْكَرْتَ أَحْـ ـوَالَ الشَّبِيْبَةَ مِنْكَ، وَاسْتَتْبَعْتَهَا
أَوْ لَمْ تَرَى الشَّهَوَاتِ كَيْفَ تَنَكَّرْتَ عَـمَّا عَهِـدْتَ وَرَبَّـمَا لَـوَّنْتَـهَا
أَكْرَمْتَ نَفْسَكَ بِالهَوَانِ لَـهَا وَلَـوْ كرُمت عَلَيْكَ نُصْحَتَهَا وَأَهَنْتَهَا
يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا كَأَنَّكَ خِلْتَ أَنَّـ ـكَ خَالِدُ فَجمَعْتَهَا وَخَزَنْتَـهَا
يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا طَفِقْتَ تَزُيِّنَ الدُّ نْيَا بِـم لَا يَسْتَقِيمُ فَشَـنْتَهَا
أَذْكُـرَ أَحَّتَكَ الـذِّيـنَ ثَـكَلْتَـهُـمْ أَذْكُر رُهُـوانًا فِي التُّرَابِ رَهَنْتَهَا
وَالخَيْرُ مَـا قَدَّمْتَ سَنَةَ صَالِـحَ لِلصَّالِحِينَ فَعَلْتَهَا وَسَنَنْتَهَا

صور العتاهية من خلال أبياته حال من رَكَنَ للدنيا فغشته ملذاتها وزخارفها، فساق الصورة الحاكية من تلك التالية من خلال كلماته وعباراته الوعظية الخطابية التي أسفرت عن بساطتها وسطحيتها، حيث تعجب العتاهية ممن أمن الدنيا وبسط رداء الأمان منها، فشغل نفسه بطلبها رغم صولات الغدر التي تميزت بها، إذ لا عهد لها فكم من محب كرت عليه الدنيا فساقته إلى دار الهوان، بعدما تقفى خطاها ومُنَاهَا فسِيْقَ إلى دار الخلد خَاليًا، فبفراقهم من الوعظ كافيا، فلا خلد يرجى غير خلد الباقية.

[1]- المصدر السابق ص:62.

وهناك الكثير من المقطوعات الزهدية التي تناولت على بساطتها صورًا بسيطة من احاءات النفس وأحاسيسها ومشاعرها، فمقطوعته الشعرية كانت اقْرَبَ الى الخطابية المباشرة، لا تُوغِلُ في التَّصْوِرِ، وتعتمد كثير على الصُّوْر السَّطحية، وعَلَّ ذلك من الكفاية ما يبرر سريان شعره في الناس أكثر من غيره، لاعتماده على القريب الى العامة من الألفاظ والتعابير والصور.؛

د- الموسيقى الشعرية:

العنصر الموسيقى من أهم العناصر ذات الأهمية في الشعر، وهو من أبرز خواصه التي لا يمكن تصوره من دونه، فالشاعر عندما يريد أن يجسِّد أحاسيسه، لا يجد له أفضل من الشعر يُعبِّر من خلاله عن أحاسيسه ومشاعره، بواسطة الألفاظ والكلمات التي تحمل هالة مشاعرة بتوظيفها في أبيات ومقطوعات شعرية، ولَا يتأتَّى ذلك إلا من خلال فرض نظام يُحدِّد مسارها، والذي يُمثِّله العروض بأوزانه وقوافيه، ورنَّات موسيقى الكلمات التي تعطي للشعر موسيقاه الداخلية العذبة.

والعروض ميزان الشعر يعلم به ما يجوز في الشعر مما لا يجوز فيه، و((المؤكد أَنَّ الخليل هو الذي استنبط علم العروض...،وحصر أقسامه في خمسة دوائر، واستخرج منها خمسة عشر بحرا ثم زاد الأخفش على الشهور بحرًا واحدًا أسماه المتدارك وهو الوزن الذي أهمله الخليل))[1]، وكان ذلك بعدما استقصى أَغلب ما ورد عن القدامى في الشعر، وقد جمع ما خلص إليه من البحور في قول القائل:[2]

طَـوِيـلُ مَـدِيـدُ فَالبَسِيْطُ فَوَافِـرُ فَكَامـل اَهْزَاجُ الأَراجَزِ أَرْمَـلَا
سَرِيعُ سَرَاحِ فَالخَفِيفُ مَضَارِعُ فَمُقْتَضِبٌ مَجْتَثٌ قَرْبَ لِتَفَضُـلاَ

"فالشعر الذي اجمع على صحته وعني أهل اللغة بروايته، وجعل له الخليل ميزانًا يعرف به وقانونًا يرجع إليه فيه، ويحفظ به من أَنْ يشذ له وزن أو يزداد فيه نوع أو بناء ليس من أبنية العرب"[3]، فمن ذلك ذهب البعض

---

[1]- ناصر لوحشي، " **الميسر في العروض والقافية** "، عن الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دون تاريخ الطبع، ص:18.

[2]- المرجع نفسه، ص:19.

[3]- الحسن احمد بن مُحَّد العروضي، " **الجامع في العروض والقوافي، تحقيق زهير غازي وهلال ناجي** "، عن مؤسسة الثقافة الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر، دون تاريخ طبع، ص:60.

الى وضع كل ما لم يرد على نظم العرب، وهو موقف في رأينا يفتقر إلى شيء من الحَذَاقَةِ والنَّظرْ، إذْ الحاجة لابد لها من ابتداع، وبها من الكفاية ما يدعو إلى الخروج عن المألوف، وبه من الحُجَّة ما يدعو إلى تمزيق تلك الاستار التي أحاط بها الخليل كعبته.

والعتاهية أَنْموذَجَ من خَلْقِ الحَاجَة، إذْ رفع بعقيرته وخرج في موسيقاه الشعرية عن الخليل، حيث رأى من نفسه أنَّ قريحته وأنفاسه أوسع من العروض، وهو ما أكده ((حينما رد على سائله لما سأله: أتعرف العروض؟...قال: أنا أكبر من العروض، فكان له أوزان لا تدخل في العروض))[1]، فالعتاهية لم يَتهَّيب مِمَّا تَهَّيب له كثيرون من شعرائنا خَوْفَ الخُروجِ عن المألوف.

فنظم العتاهية على الخليل في أشكاله كثيرة، فقال في البسيط وطرق باب الكامل وحَطَّ بالمنسرح والرمل فالهزج والخفيف والوافر، وَطَال المديد والمتقارب فالسريع...وغيرها من البحور الخليلية.

فَمِمَّا تابع فيه الخليل واعتمد فيه وحدة الوزن والقافية ما نظمه على البسيط مُحِّدثًا من خلاله عن الغفلة بالانغماس في الدنيا وترك أمر الآخرة فقال:[2]

مَالِي أَفَرِّطُ فِيمَا يَنْبَغِي مَالِي؟ إِنِّي لَأَغْبَنْ إِدْبَارِي وَإِقْبَالِي
اليَومَ أَلْعَبُ والأَيَامُ مُسْرِعَةٌ فِي هَدْرِ عُمْرِي وَفِي تَصْرِفِ اَحْوَالِي
يَجْرِي الجَدْيدَانِ والإِقْدَارُ بَيْنَهُمَا تَغْدُو وَتَسْرِي بِأُرْزِاقٍ وآجَالِ
يَا مَنْ سَلَا عَنْ حِبْيبٍ بَعْدَ غَيْبَتِهِ كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ مِنْ نَاسٍ وَمَنْ سَالَ
كَأَنَّ كُلَّ نَعِيمٍ أَنتَ ذَائِقَه مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ يَحْكِي لَمْعَةَ الآَلِ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وأَنْتَ تَرَى مَا شِئْتَ بِإِحْسَانِ وَإِجْمَالِ

فوزن ما قال يتبين لنا من خلال تقطيعنا للبيت الأول من قصيدته، تقطيعا عروضا:

مالي أفرط فيما ينبغي مالي؟ إني لأغبن إدباري وإقبالي
مَالِي أُفَرِّطُ فِيمَا يَنْبَغِي مَالِي إِنِّي لَأُغْبَنُ إِدْبَارِي وَإِقْبَالِي
01110110101011110110101 01010110101011110110101

[1]- الأصفهاني، " **الأغاني** "، مصدر سابق، ص:1091.

[2]- ديوان أبي العتاهية، مصدر سابق، ص:210.

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلنِ مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

فالعتاهية في أبياته اعتمد ما خوله له العروض من الحذف في بنية التفعيلة، من خلال طرقه لباب الزحافات والعلل، فاعتمد حشونا مخبونة بإسقاطه للساكن الثاني من [فاعلن] واعتمد [فعلن]، اعتمد عروضا مقطوعة بحذفه الخامس الساكن من [فاعلن] واعتماده على [فاعل]، واعتمد قافية مطلقة من كلمة – أبالي– جعل من اللام رويا لها، ومن الياء وصلا لرويها، ومن الألف ردفها، ويتمثل ذلك في الآتي:

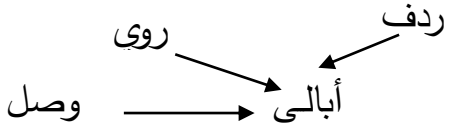

كذلك ما حكاه عن أهل القبور الذي قطع الحمام وصالهم من الترف والحياة الغانية، أن غدوا جنادل في التراب، فحدث بالكامل فقال:[1]

أَهْلُ الْقُبُورِ عَلَيْكُمْ مِنِّي السَّلَامْ إِنِّي أُكَلِّمُكُمْ وَلَيْسَ بِكُمْ كَلَامْ
لَا تَحْسَبُواْ أَنِّ الأَحِبَّةِ لَمْ يُسَغْ مِنْ بَعْدِكُمْ لَهُمْ الشَرَابْ وَلَا الطَعَامْ
كَلَا لَقَدْ رَفَضُوكُمْ وَاسْتَبْدَلُواْ بِكُمْ وَفُرَّقَ ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحِمَامْ
وَالخَلْقُ كَلِّهِمْ كَذَلِكَ وَكُلٌ مَنْ قَدْ مَاتَ لَيْسَ لَهُ عَلَى حِيٍّ ذَمِامْ
سَاءَلْتُ أَجْدَاثَ المُلُوكِ فَأَخْبَرَتَـ ـــنِي أَنَّهُمْ فِيْهِنَّ اَعْضَاءُ وَهَامْ

يتضح لنا من خلال تقطيعنا للبيت الأول من المقطوعة الوزن الذي بناها العتاهية عليه، المتمثِّل في البحر الكامل ذو التفعيلات الثابتة، ويتجلى ذلك في الآتي:[2]

أهل القبور عليكم مني السلام إني إكلكم وليس بكم كلام
أَهْلَ لْقُبُوْرِ عَلَيْكُمْ مِنْنِيْ سْسَلَاْمْ اِنْنِيْ أُكَلْلِمُكُمْ وَلَيْسَ بِكُمْ كَلَاْمْ
0110101101011101101010110111011011101101
متفاعلن متفاعل متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

[1] – المصدر السابق، ص:228.
[2] – المصدر نفسه، ص:228.

في البيت اعتمد الزخفات لضبط موسيقات الخارجية، فاعتمد الإضمار في حشو الشطر الأول، فسكَّن به المتحرك الثاني من [متفاعلن] كما اعتمد فيه علة القطع، بحذفه لآخر الوتد وتسكين المتحرك في [متفاعل]، وجعل قافيته قافية مقيدة مترادفة، جعل من الميم روي لها، ومن الألف ردفها، ويتضح ذلك من خلال المثال:

وقوله من المتقرب، الذي ساق فيه جانبًا من جوانب وعظياته التي دعا فيها الى التَّوكل على الله والتوَّجه إليه في طلب فضائله فقال:[1]

أَلَا هَـلْ أَرَى زَمَنِـي يَسْعَدُ وَأَنَّي وَقَدْ ذَهَبَ الأَجـوَادُ؟
وَأَصْبَحْتُ فِي غَابِرٍ بَعْدَهُمْ تَرَاهُمْ كَثِيرًا وَلَنْ يَحْمَدُواْ
أَلَا أَيُّـهَا الـطَّالِبُ الـمُسْتَغِيْـ ـثُ مَنْ لَا يُغِيْثَ وَلَا يَعْضُدُ
أَلَا تَـسْأَلْ اَللهَ مِـنْ فَضْلِـهِ فَـإِنَّ عَطَايَاهُ لَا تَنْفَـدْ

وتتضح لنا موسيقاه الخارجية من خلال تقطيعنا للبيت الثاني منها:

وأصبحت في غابر بعده تراه كثيرا ولن يحمدوا
وَأَصْبَحْتُ فِي غَابِرِ نْ بَعْدَهُمْ تَرَاهُمْ كَثِيْرُنْ وَلَنْ يَحْمَدُو
0110101101011010110110101101011
فعولن فعولن فعولن فعو فعولن فعولن فعولن فعو

اعتمد فيه حشوا سليمة، ونَالَ من عرُوضه وضربه الحذف بإسقاطه لسبب خفيف من تفعيلتي الضرب والعروض، كما اعتمد قافية مطلقة متداركة، فجعل من الدال رويا لها ومن الواو وصلها، ويتضح لنا ذلك من خلال الآتي:

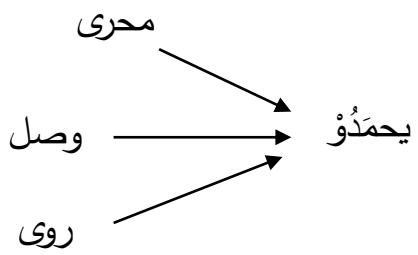

[1]- المصدر السابق، ص:81.

وأما من جانب ما خرج فيه عن الخليل، منه ما ذكره ابن قتيبة في كتابه في الشعر والشعراء: أن العتاهية لسرعة وسهولة شعره كان ينظم شعرا موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب، فيوما قعد عند قصار فسمع صوت المدقة فحكى ذلك في ألفاظ شعره من بينها قوله:[1]

لِلْمَنُـــونِ دَائـــرَا تُ يُـدِرْنَ صَـرْفَـــهَـا
هُـــنَّ يَنْـتَقَيْنـــنَا وَاحِـــدًا فَـــوَاحِـــدَ

كما أخبر صاحب الأسطورة: ((أنه استعمل بحرًا أخر خرج به عمَّا اعتادته العرب في نظمها يسمى "دق الناقوس"، فهو لم يرد على أوزان الخليل، وقد راج ذلك الوزن بين المحدثين، مما يدل على سلامة ذوقه))[2]، فكان العتاهية من خلال هذا ممهدًا لعهد تالٍ من الخروج عن عوائد العرب في نظمها، وعَلَّ خروجه هذا كان نتيجة ظروف الحياة في العصر العباسي، التي مالت كثيرًا الى البساطة واعتماد التعابير الخفيفة السهلة القريبة الى العامة، والتي مثَّل سوادها الأعاجم الذين لا يتقنون في غالبهم اللغة الفصيحة ولا يدركون من ذوق العرب إلا اليسير.

أما عن الموسيقى الداخلية في زهدياته، نجد أَنَّ العتاهية صخَّرِ الكثير مما أَتِيح له من الأدوات التي تصنع لزهدياته صوتها العذب المؤثر في النفس، فوظَّف العديد من ألوان البديع، ما خولته البلاغة في صنع ذلك التالي، من تكرارات لفظيةٍ وحرفيةٍ هادفة، وغيرها مِمَّا يُعْطِي للشعر جِرْسَه الموسيقى الذي تشجب إليه الأسماع.

فاستعمل العتاهية الجناس في قوله:[3]

تُـقَـلِّلُبِـي الأَيَـام بـــداءً وَعَوْدَةً تَصْعَّدَتْ الأَيَامُ لِي وَتَصْوَبتْ
وَعَاتَبَتْ أَيَّامِي عَلى مَا يَرُوعُنِي فَلْـم أَرَى أَيَّامِي مِنْ الرَّوعِ أَعْتَبْتُ

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء ،دار إحياء العلوم ، بيروت ،ط6ا ،1997، ص:198.

[2] مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، " **أسطورة الزهد عند أبي العتاهية** "، مرجع سابق، ص:170.

[3] – ديوان أبو العتاهية، المصدر السابق، ص:56.

حيث جسد العتاهية موسيقى بيته الثاني من خلال توظيفه للجناس الناقص في كلمتي عاتبت الأولى من حشو الشطر الأول من البيت، والتي أراد بها مساءلة نفسه ومعاتبتها لما صدر منها في سابق الأزمات من النقائص، وكلمة "أعتبت" التي دَلَّلَ بها لقوة ذهوله أمام ما قدم، فلم يرى في ذاك من الناس من يعاتب نفسه غيره.

كما استعمل الطباق كثيرًا خاصة في معاريض حديثه عن الدارين فمن ذلك قوله: [1]

نَـرَى اللَّيْلَ يَطْلُبَنَا وَالنَّـــهَا	رُ لَـمْ نَـدْرِ أَيُّـهُـمَا اَطْلَـبُ
أَحَـاطَ الجَدِيْدَانِ جَمعًا بِنَا	فَلَيْسَ لَنَا عَنْهُمَا مَـهْرَبُ

وقوله كذلك: [2]

الـخَيْرُ وَالـشَّـرُّ عَـادَاتُ وَأَهْـوَاءُ وَقَـدْ يَكُونُ مِنْ الأَحِبَّابِ اَعْـدَاءُ
لِلْحُكْمِ شَـاهِدُ صِدْقٍ مَنْ تَعْمِـدْ وَلِلْحِليمِ عَـنْ العَوْرَاتِ اَعْـضَاءُ

ونجد أنَّ أبرز سمة في زهدياته التي صنعت موسيقاها الداخلية ظاهرة التكرار اللفظي، في الأفعال والأسماء والجمل، التي كثيرًا ما تلزم من ورائها دلالة الحيرة وتساؤلاتها، التي تنتاب نفس الزاهد، خاصة فِيمَا ارتبط بمصير الآخرة، والغفلة التي تنتاب الناس، ومن شواهد ذلك قوله: [3]

كَـأَنِّي بِرَهْطِي يَحْمِلُونَ جَنَـازَتِي إِلَى حَفْرَةٍ يُحَثَّى عَلَيَّ كَثِيْبُـهَا
فَـحَتَّى مَتَى حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى يَـدُوْمُ طُلُـوعُ الشَّـمْسِ وَغُرُوبُهَا

فدلالة الحيرة بادية من أثر تكراره الاستفهام ، التي عكست حجم التي إنتابت روح العتاهية.

ومثلها في قوله: [4]

---

[1] – المصدر نفسه، ص:33.
[2] – المصدر نفسه، ص:09.
[3] – المصدر السابق، ص:38.
[4] – المصدر نفسه، ص:29.

سَبْـحَـانَ رَبّـِكَ مَـا أَرَاكَ تَتُــوبْ وَالرَّأْسُ مِنْكَ بِشَيْبَةٍ مَخْضُـوبْ
سَبْحَانَ رَبّكَ ذِي الجَلاَلِ أَمَا تَرَى نُـوِيَ الزَّمَانِ عَلَيْكَ كَيْفَ تَنُوبْ
سَبْحَانَ رَبّكَ كَيْفَ يَغْلِبُكَ الهَوَى سُـبْـحَانَـهُ إِنَّ الـهَوَى لَغَلُـوبْ
سَبْـحَانَ رَبّكَ كَيْفَ يَلْتَذُّ أَمْـرُؤُ بِالعَيْشِ وَهُوَ بِنَفْسِهِ مطلـوب

فهي كما نرى موسيقى ناجمة عن رد العجز على الصدر، ورد الصدر على العجز من أبرز ألوان البديع التي تسهم في إثراء الموسيقى الداخلية في الشعر.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام بحثنا نخرج بأهم النتائج التي توصلنا إليها:

ـ إَنَّ شعر الزهد لم يجد لنفسه كينونته إلا في العصر العباسي، إذ كان وليد حاجة، دفعت إلى ظهوره كغرض شعري قائم بذاته، يسعى إلى معالجة الحياة التي شَانَها الفساد واعترتها الآثام، وجاء كصيحة في المجون الذي غطَّى على الحياة وطال عامة الناس وخاصتهم فإن كان قد ظهر بشكل جلي في العصر العباسي الذي مثل منشأه، إلا أن أولياته قديمة سابقة عن هذا العصر.

ـ وأمكن القول أن من مزاياه صدق الشعور والقول، إذ لا يرجى به مدح ولا يرغب به إلى عطايا ونوال، وهو أصدق الأغراض الشعرية إحساسا ومعايشة، جمع لنفسه وحدة الموضوع التي لم يخالط فيها غيره من الأغراض، بعيدًا عن المقدمات والممهدات يأتي على الموضوع ارتجالا جاعلا من ذم الدنيا والموت والعزلة كبير موضوعاته، يستجلى من خلالها الحقيقة الخالدة حقيقة الرجعة والفناء.

ـ كان الشاعر أبو العتاهية واحدا ممن مثل ذلك الاتجاه الشعري، محى به وسمة النشأة الوضيعة التي عاشها في صباه، فجرى على لسانه، ما حقق لشعر الزهد كينونته الفعلية التي أقرها الدين الحنيف، القاضية بترك الدنيا الفانية والتزلف بالأعمال للآخرة الباقية، جاعلا من القرآن والحديث وكبير حكم الفلاسفة منابعه التي يستقي منها ألفاظه ومعانيه.

ـ كان صادقا في توجهه وإن لم تطابق في أحايين أقواله فعاله، والتي وجدت بالأحكام المحايثة عزائها، فلا أحد يمانع الأوبة والرجعة، وليس للأيام السوداء فيها سبيل، ولهاجس الفقر والحاجة من الأثر ما يغير الكبير، فمن ذاك لا يقال بزيف زهده، فيقال بضعف وازعه الديني و ضعف التوكل على الله في الأرزاق والأقوات.

ـ أعطى شاعرنا لشعر الزهد خاصيته من وحدة البناء وسهولة الأسلوب، اعتمد القريب للعامة من الألفاظ والمعاني والتصوير، جاعلا من أبحر الخليل حامل ألفاظه ومعانيه تارة، ومبتدعا أخرى غيرها يسوق فيها رسائله الحكمية والوعظية.

نرجو في الاخير أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا ، ولا ندعي الكمال في العمل ولكن حاولنا قدر المستطاع الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه التي رأيناها مناسبة للدراسة، على أنه يبقى الموضوع مفتوحا للبحث

والدراسة من جوانب كثيرة نتركها للطلبة المقبلين على التخرج لاكتشافها والسعي في تحصيلها ، واللهالمستعان وولي التوفيق.

قائمة المراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولاً: المصادر والمراجع:

أ ـ المصادر:

1ـ **ديوان أبو العتاهية**، دارصادر للطباعة والنسر، بيروت ، لبنان ،ط3، 1987.

ب ـ المراجع :

1- أحمد بن مُحَّد بن زياد الأعرابي، " **الزهد وصفة الزاهدين**"، مكتبة الصحابة للطباعة، مصر، ط1، 1988.

2- أحمد عبد الحليم عبد السلام بن تيمية، "**فقه التصوف**"، دار الفكر الغربي، لبنان، ط1، د.ت.

3- أحمد فلاق عروات، " **فكرة الموت في التراث العربي** "، عن دار هوامه للطباعة، الجزائر، ط2005.

4- الإمام أبي بكر عبد هلال بن مُحَّد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، "**الزهد**" ، دار بن الكبير للطباعة والنشر والتوزيع، 1ط، 1999.

5- بن الجوزي، "**صفة الصفوة تحقيق مُحَّد فاخوري**"، مصر، ط1، م4، (د.ت

6- أبو حامد الغزالي، "**إحياء علوم الدين**"، مطبعة مصطفى البابي لحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، ج4، مصر، 1939.

7- الحافظ مُحَّد الترميذي، " **صحيح سنن الترميذي** "، ط2، المجلد1، مكتبة المعارف، الرياض، 2002.

8- الحسن أحمد بن مُحَّد العروضي، " **الجامع في العروض والقوافي، تحقيق زهير غازي وهلال ناجي** "، عن مؤسسة الثقافة الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر، دون تاريخ طبع.

9- حنا الفاخوري، " **تاريخ الأدب العربي** "، دار المعارف المصرية ، القاهرة ، 4، 2005.

10- خليل شرف الدين، " **أبو العتاهية بين الرفض والقبول** "، عن مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1987.

11- بن أبي الدنيا، " **كتاب العزلة والانفراد** "، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ت).

12- زكريا شرف الدين، " **الأربعين النووية** "، دار الإمام، باب الواد، الجزائر، ط2، 2010

13- زكي مبارك، **التصوف الإسلامي في الادب والأخلاق**، مكتبة الكتب الاسلامية، الأردن ،ط3، 2009 .

14- سراج الدين مُحَمَّد، "**الزهد في الشعر العربي**"، دار راتب الجامعية، بيروت، د.ت، د.ط.

15- شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي** "، دار المعارف، مصر، ط6، (د.ت).

16- شوقي ضيف، " **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول** " دار المعرف، مصر ، دت،

17- عبد الحليم مُحَمَّد، " **العالم العابد ذو النون المصري** "، دار الطباعة، القاهرة، ط1، 2004.

18- عبد الحميد هيمة، " **الخطاب الصوفي وآليات التأويل** "، دار الأمير خالد، د ط، د ت.

19- عبد الستار ضيف، **شعر الزهد في العصر العباسي**،مؤسسة المختار، الأردن، د.ت.

20- عبد الله التطاوي، " **مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص** "، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006.

21- عبد المنعم خفاجي، " **الآداب العربية في العصر العباسي الأول** "، دار الجيل، بيروت، ط5، 1992.

22- عيسى المصري، " **السلطة في الإبداع في شعر العصر العباسي** "، دار الرائد، الأدرن، ط1، 2007.

23- أبو الفرج الأصفهاني، " **الأغاني** "، عن المؤسسة الوطنية للفنون والطبع، وحدة الرغاية، الجزائر، ط2007.

24- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء** ، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت ، د.ت .

25- مُحَمَّد الفارسي، " **الأدب والنصوص** "، منشورات مكتبة الوحدة العربية، دار البيضاء، د.ط ، ج4.

26- مُحَمَّد عبد العزيز الكفراوي، " **أسطورة الزهد عند أبي العتاهية** "، عن دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، مصر، دون تاريخ طبع.

27- مصطفى الشعكة، " **الشعر والشعراء في العصر العباسي** "، دار الماليين للطباعة، بيروت، ط5، 1980.

28- ميمون بن قيس: "**ديوان الأعشى الكبير**"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1993.

29- ناصر لوحشي، " **الميسر في العروض والقافية** "، عن الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دون تاريخ الطبع.

30- هشام مناع، " **أعلام الفكر العربي** "، أبو العتاهية، عن دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:1، 1999.

31- وكيع بن الجراح، **كتاب الزهد**، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ج1 ،د، ط، د، د ت.

ثانيا: المعاجم والقواميس:

1 ـ ابن منظور، **لسان العرب**"، دار صادر بيروت (لبنان) 2004، د.ط، المجلد7.

2 ـ الخليل بن أحمد الفراهدي،" **كتاب العين** (معجم لغوي تراثي)"، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم الغنبكي، مكتبة لبنان ناشرون، لجنة ترتيب المعجم ، بغداد 2003، د.ط.

ثالثا: الرسائل والأطروحات الجامعية :

1- ليلى قجوج، " **النزعة الزهدية في الشعر المغاربي**"، حتى نهاية ق3 هـ، رسالة ماجستير، إشراف معمر جحيح، جامعة باتنة، 2005- 2006.

رابعا : المحاضرات الجامعية:

2- أبو بكر بوشيبة، " **النقد في صدر الإسلام** "، محاضرات في مقياس النقد القديم، جامعة أدرار، موسم 2015-2016.

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة..... أ-ج

الفصل الأول: ماهيـة شـعر الـزهـــد

أولاً: الدلالة اللغوية والإصطلاحية لشعر الـزهـد..... 02

1)- لـــغـــة 02

2)- إصطلاحا 03

3)- مفهوم شعر الزهد 05

ثانـياً: نـشـــأة شـعـر الـــزهـــد 05

1)- إرهـاصـاتـــــه 07

2)- أسـبـاب ودواعـــــي ظـهـــوره 15

أ- تفشي اللهو والمجون والزندقـة 15

ب- ظـهـور الـوعـاظ والـنـسـاك 17

ج- الإسـتـبـداد الـسـيـاســـي 18

ثـالـثـًا: صـفـــات الـــزهـــاد 18

1)- الـــــــــورع 19

2)-التوكل عـلى الله 20

3) العزلـة والإنفـــراد 22

الفـصل الثـاني: شـعـر الـزهـد عنـد أبـي العتاهـيـة وخصائصه الفنية

أولاً: حـيـاة أبـو العتاهـيـة 27

1)- أصـلـه ونـشـأتـــه 27

2)- مـــذهـبـــــه 29

3)- عـلاقتـــه بـالـنـسـاء 30

ثانيًا: زهـــد أبــو العتاهيـة 34
2)- دواعــي وأسباب زهـده 36
أ- العـامــل الفـطـــــري 36
ب- تأثره بالفلسفة والثقافات 36
ج- فشله في حياته العاطفية 37
د- خلافه مع والبة بن حباب 38
3)- حقيقــة زهـــده 39
ثالثًا: زهـديــات أبــو العـتاهـيـة 44
1)- **مـوا ضـيــعـهـا** 44
أ- ذم الــدنيـا 44
ب- المـــــوت 47
ج- الشيــب 49
2)- **مـــــواردهـــا** 50
أ- القـــرآن الكـريـم 50
ب- الفلسفة و الثقافات 54
3)- **خصـائـصـهـا الفـنـيـة** 55
أ- بنية القـصيــدة 55
ب- الأسلـــــــوب 58
ج- الصورة الفـنيــة 60
د- الموسيقى الشعـريـة 64
الخاتمة 72
قائمة المراجع 75

المحتـوى

المـلخــص

المـلخــص

شعر الزهد عند أبي العتاهية "مقاربة فنية تاريخية"

Ascetic poetry according to Abu Al-Atahiya

An art-historical approach

Abstract

الطالبة: عاشوراء بن الأبيض

المؤطر: أ.د/ فاطمة مختاري

الملخص:

إن شعر الزهد بما فيه من المواعظ الدينية والحكم الأخلاقية له أثر بارز في توجيه القيم الإسلامية والقرآنية، وخاصة أن هذا النوع من الشعر مستقاة من القرآن الكريم والمصادر الإسلامية. وللعوامل النفسية والإجتماعية أثر بارز في انشاد الزهديات حيث إن الشاعر أبو العتاهية نظرا لحالته النفسية والأوضاع الإجتماعية في العصر العباسي أنشد زهدياته وفتح لها بابا خاصا في الأدب العربي وجعله فنا مستقلا قائما. إن هذه الدراسة تطرقت إلى أهم الموضوعات والخصائص في زهديات أبي العتاهية بغية التعرف على شعر الزهد وكل ما يتعلق بماهيته وظروف نشأته وتطوره ودواعي ظهوره، فالزهد عند أبو العتاهية فن من فنون الشعر، أراد به وعظ الناس عامة بأسلوب رائع، وألفاظ سهلة ومعان لطيفة قريبة من أفهام الناس فالزهديات في شعره جعلته في مكانة مرموقة بين شعراء عصره.

الكلمات المفتاحية: شعر الزهد، أبو العتاهية، العصر العباسي.

summary:

The poetry of asceticism, including religious preaching and moral judgment has a significant influence in guiding Islamic and Qur'anic values, especially since this type of poetry is derived from the Holy Quran and Islamic sources. Psychological and social factors have a prominent influence in the singing of the Zahadiyat, where the poet Abu Alataheya because of his psychological situation and social conditions in the Abbasid era, his shrines and opening a special door in the Arabic literature and make it an independent art exists This study touched on the most important topics and characteristics in the fatwas of Abu al-Ataheya In order to get to know the poetry of asceticism and everything related to its essence, the circumstances of its origin and development, and the reasons for its appearance. According to Abu al-Atahiyah, asceticism is an art of poetry. He wanted to preach to people in general in a wonderful style, with easy words and nice meanings that are close to people's understanding. The asceticisms in his poetry placed him in a prominent position among the poets of his time.

Key word: Ascetic poetry , abu al ataheya, Abbasid era.